أقوال الآباء الشيوخ

ترجمت في معهد القدّيس يوحنّا الدمشقي-البلمند

نقلها إلى العربية الأب الدكتور ميشال نجم

والأب منيف حمصي

منشورات النور
1983

جميع الحقوق محفوظة
لمنشورات النـــور

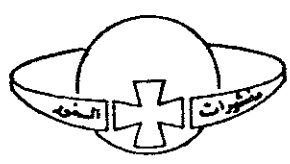

«آباء الكنيسة»

١ ـ الآباء الرسوليون	
٢ ـ الحياة في المسيح	لنقولا كاباسيلاس
٣ ـ السلّم الى الله	ليوحنا السلّمي
٤ ـ في الكهنوت، احاديث عن الزواج، الرسائل الى اولمبيا	ليوحنا الذهبي الفم
٥ ـ فصول في الصلاة والحياة الروحية	لإفاغريوس البنطي و مرقس الناسك
٦ ـ أقوال الآباء الشيوخ	
٧ ـ نسكيات	لاسحق السرياني

الفهرست

مقدمة	للارشمندريت الياس مرقص	٩
المدخل	للاستاذ بنيوتيس خريستو	١٣
	تقليد أقوال الشيوخ	١٤
	شيوخ البرية	١٧
	مُثل السيرة التوحدية	٢٦
	شكل مجموعة الأقوال وقيمتها	٣٣
	تحرير المجموعة	٣٥
	القديس أنطونيوس الكبير	٣٩
	القديس أرسانيوس	٤٧
	الأب أغاثون	٥٩
	الأب أمون	٦٦
	الأب أخيلاّ	٦٩
	الأب أموى	٧٢
	الأب أمون النطروني	٧٣
	الأب انّوف	٧٤
	الأب إبراهيم	٧٦
	الأب آرى	٧٧
	الأب ألونيس	٧٨
	الأب أبفي	٧٩
	الأب أبوللوس	٨٠
	الأب اندراوس	٨١
	الأب آبيو	٨١
	الأب أمونا	٨٢
	القديس باسيليوس الكبير	٨٣
	الأب بيساريوس	٨٤
	الأب بنيامين	٨٨
	الأب بياري	٨٩
	القديس غريغوريوس اللاهوتي	٨٩
	الأب جيلاسيوس	٩٠
	الأب يروندبوس	٩٤
	الأب دانيال	٩٥

الأب ديوسقورس
الأب دولاس
القديس إبيافانيوس اسقف قبرص
القديس افرام
إفخارستوس الذي في العالم
أنلويوس الكاهن
الأب أفبربيوس
الأب ألاذيوس
الأب إفاغريوس
الأب افذمونوس
الأب زينون
الأب زخريا
الأب أشعيا
الأب إيليا
الأب هيراقليون
الأب ثيوذورس الفرّيمي
الأب ثيوذورس الأناني
الأب ثيوذورس الذي من الاسقيط
الأب ثيوذورس المواطن الحر
الأب ثيوذوتس
الأب ثيوناس
المغبوط رئيس الاساقفة ثيوفيلوس
الأم ثيوذورا
الأب يوحنا الكولوفي
الأب يوحنا الذي يعيش في دير ذي شركة
الأب إيسيذورس كاهن الاسقيط
الأب ايسيذورس البيلوسيوتي
الأب اسحق كاهن القلالي
الأب يوسف الذي في بنفو
الأب يعقوب
الأب إيراكا
الأب يوحنا الخصي
الأب يوحنا الكيليكس
الأب يوحنا رجل القلالي
الأب إيسيذورس الكاهن
الأب يوحنا الفارسي

الأب يوحنا الطيبي ١٥٨
الأب يوحنا تلميذ الأب بولس ١٥٩
الأب يوسف الطيبي ١٥٩
الأب اسحق الطيبي ١٦٠
الأب ايلاريون ١٦١
الأب اسخيريون ١٦١
الأب كسيانوس ١٦٢
الأب كرونيوس ١٦٥
الأب كاريون ١٦٧
الأب كوبريس ١٦٨
الأب كيرس ١٦٩
الأب لوكيوس ١٦٩
الأب لوط ١٧٠
الأب لونجينس ١٧١
الأب مكاريوس المصري ١٧٣
الأب موسى ١٨٨
الأب ماتوى ١٩٣
الأب مرقس تلميذ الأب سلوان ١٩٦
الأب ميليسيوس ١٩٨
الأب موتيوس ٢٠٠
الأب ميائيوس ٢٠١
الأب ميّوس ٢٠٢
الأب مرقس المصري ٢٠٣
الأب مكاريوس المدنيّ ٢٠٤
الأب نيلوس ٢٠٥
الأب نيسثروس ٢٠٦
الأب نيسثروس الذي في الشركة ٢٠٧
الأب نيكون ٢٠٨
الأب نترا ٢٠٩
الأب نيكيتا ٢٠٩
الأب كسويس ٢١٠
الأب كسنثيا ٢١١
الأب أوليمبيوس ٢١٢
الأب أورسيسيوس ٢١٣
الأب بيمن ٢١٥
الأب بمفو ٢٤٨

الأب بيستوس
الأب بيور
الأب بيتيريون
الأب بيستامون
الأب بطرس البيونيتي
الأب بفنوتيوس
الأب بولس
الأب بولس الكوزميتي
الأب بولس الكبير
الأب بولس البسيط
الأب بطرس الذي من ذيوس
الأب روماوس
الأب روفو
الأب رومانوس
الأب سيسوى
الأب سلوان
الأب سيمون
الأب سوباتروس
الأب سارمتا
الأب سيرابيون
الأب سيرينيوس
الأب اسبريدون
الأب سايو
الأم سارة
الأم سينكليتيكي
الأب تيثوى
الأب تيموثاوس
الأب إيبريخيوس
الأب فوقا
الأب فيليكس
الأب فيلاغريوس
الأب فورتا
الأب خومه
الأب خريمون
الأب بسينثايسيوس
الأب اور

مقدمة

إن هذه الترجمة لأقوال آباء البريــة تلبي حاجة أخذت تنمو في صفوف الشباب ، في الكرسي الانطاكي المقدس ، مذ بدأ الكثيرون منهم يتعطشون إلى الينابيــع الروحيــة الحيّــة بروح الالتزام ليشهدوا للاله الحي . وفي هذا تكمن أهميتها . . .

إن كلام الله هو الينبوع الحي الأول ، الكــلام الذي يحمل الروح ، وهو الذي إذا ما أصغينا إليــه ، في نور الروح ، يقودنا إلى الله : لأنه ينطلق من الله ليقودنا إلى الله . ولكننا إذا ما طالعنا أقوال الآباء على المنوال نفسه ، في نور الروح وسلامه ، نبلغ أيضاً إلى الله : ذلك لأنهم أناس أحياء قد جسّدوا كلام الله . لقد اقتبلوا كلام الانجيل، وعملوا به، بل تمثلوه حتى صاروا أنفسهم كلاماً نارياً أعمق من الكلام المكتوب . . . أنهم يعكسون الانجيل المكتوب بصورة أعمق وأوسع ، إذا جاز القول ، لأن كلمة الله قد تجسّدت بواسطتهم في كيان ووجود بشريين تحقق معه تحويل الطبيعة البشرية وتغييرها . ولذلك فإن قراءة أقوالهم بفهم، لا تؤلف مطالعة روحية محببة، وفحصاً للذات في العمق وحسب، بل طعاماً روحياً هو طعام الكلمة الذي يحمل الروح . . .

الينابيع الروحية الحيّة وحدها تغذينا وتحيينا ، ولا بد من الرجوع إليها لكي نتخطى القلم الذي يتهددنا ونمشي الطريق . . . فآباؤنا هؤلاء قد شقوا لنا الطريق وعبّدوها بعيشهم الانجيــل الى المنتهى ، الى الحد الأقصى ، ونحن بعدهم وبفضلهم نستطيع أن نسلك دنيــا الانجيــل بأكثر سهولة . . . إننا في رجوعنا إليهم ، إلى أقوالهم وتصرفاتهم ، نوسّع أفقنا الروحي ونعمّق فهمنا ، بل ندخل في حركة تمديد لذواتنا إلى ما أكبر من ذواتنا ، وهكـذا بشركتنا معهم ، نغتني بغنى

وفير . . . نحن في حياة روحية سليمة ، لا نستطيع أن نضيف الى وجود فردي ، لأننا بالشركة مع الآخرين فقط ، نكون في الملء . . . ثم أن الروح يهبّ حيث يشاء ، فيجب أن نكون حيث يشاء ، لا حيث نشاء نحن . . .

أمّا شركتنا هذه معهم ، فينبغي أن تكون شركة حيّة ، في نوع من حوار ، نسألهم فيه ونتلقى أجوبتهم لا بذهنيّة الحرف الضيّقة بل بمسؤولية وحرية سيّديّة ، لننمو مثلهم إلى ملء قامة المسيح . إنهم لا يزالون هنا ، اليوم أيضاً ، كحاملي الكلمة والروح ، لكي نسألهم ويجيبونا . لقد تحددت وظيفتهم في القديم بشكل أناس يأتون إليهم ويطلبون « كلمة للمنفعة » ، فيجب أن نطلب لنا تلك المنفعة بحسب قصد الروح الأزلي الملائم لأيامنا . وبذا يصير سؤالنا إياهم عملاً حيّاً ومحيياً : من قبلنا شهادة قبول إيمان وحياة ، ومن قبلهم امتداد حضور بالروح إلينا .

والحقيقة أننا بأمسّ الحاجة إلى مثل هذه المطالعة الحيّة «السؤالية» لكلام الله : نحن لا نعيش الروح كفاية ، وكثيراً ما ينتابنا الارتياب والقلق لأننا في الواقع لا نعرف أن نسأل الله . فالله يحب الذين يسألونه لا الذين يرددون كلمات صمّاء ولا يسمعون ما يقول . . . إن الله يخاطبنا في سفر أيوب قائلاً : « لا تظلموا قصدي بكلام أحمق : «إنهض واسألني لأجيبك» . . . فيفهم أيوب ويسمع ويتعلّم : «أسألك فتعلّمني . . . بسمع الأذن كنت قد سمعت عنك، أمّا الآن فقد رأتك عيني » (أنظر أيوب ٣٨ : ١ - ٣ و ٤٢ : ٢) . فمثل هذا الحوار في عمق النفس ينبغي أن يكون نموذجاً وقياساً لموقفنا أمام كل كلمة تخرج من فم الله . . . إذ ذاك نميّز من خلالها قصده المقدس لكل منا ونجلو هذا القصد ونعمقه لكيما نسلك فيه . . .

في « القول » الأول من هذا الكتاب نرى أنطونيوس أبا الرهبان فريسة الضجر والقلق . فيسأل الله : « كيف أخلص » ؟ . فيعاين رجلاً مثله جالساً يعمل في ضفر الحبال ثم ينهض ليصلّي ثم يعود فيجلس للعمل وهكذا . . . ثم يقول الرجل لانطونيوس (وكان هذا جواب الله) : « اعمل هكذا

فتخلص » . . . لقد رأى أنطونيوس رجلاً مثله ، أي أنه رأى ذاته أمامه ، « قام من ذاته » ، وعى ذاته : وبالتالي تحرر منها ، وكان هذا له بدء الخلاص ، إذ لم يعد غارقاً في ذاته ، أسيراً لها . . . بل صار هناك بُعد بينه وبين نفسه ، صار أكبر من نفسه ، صار مهيّأً لسماع الله . فيأتيه الجواب : « إعمل ولو أبسط الأعمال ، إعمل عملاً ما لكي تركز فيه فكرك وتجمع ذهنك وذاتك من الضياع . . . ثم إعمل وصلّ ، تارة إعمل وتارة صلّ ، في نوع من إيقاع ، وفي بساطة هذا الايقاع سوف تجد القوة والخلاص . . .

وفي القول الثاني نرى أنطونيوس يسأل الله لماذا يموت البعض في ريعان الشباب ويبلغ آخرون منتهى الشيخوخة ولماذا يوجد فقراء وأغنياء الخ . . . وإذا بصوت يجيبه : انطونيوس ، اهتمّ بنفسك . اننا جميعاً نميل إلى الإهتمام بأمور الله هاربين من الإهتمام بأنفسنا . فجواب الله يدعونا إلى الإهتمام بالواقع لا بالنظريات ، أمّا الإهتمام بواقعنا لكيما نتبناه ونتبنى فيه قصد الله نحونا فندخل في مسرى تحقيقه لخيرنا وخير من حولنا . . .

وفي القول الثالث يسأل أحدهم أنطونيوس كيف نرضي الله ؟ فيجيب ، فيما يجيب : « ليكن الله دائماً نصب عينيك » . وهذا يعني الكثير . يعني أولا أن نعيش في حضرة الله ، أي أن يكون موقفنا الداخلي موقف صلاة ـ حالة صلاة ـ أن نحس أن الله هو « الوسط » الذي نحيا فيه ونتحرك ونوجد . . . ويعني ثانياً أن نذكر الله ، أي أن يتجه ذكرنا الواعي دائماً نحو الله ، ممتدين إليه بفرح ونضارة متجددة ، أحراراً من كل ثقل ، غير مكبلين بذكر الماضي الذي يشقينا ويعيقنا عن السير . . . وهذا يعني ثالثاً أن نعيش في يقين : أن نتيّقن أن الله هو هنا بالتأكيد ، وأننا سوف نعاينه بعد الموت ، وأن نبني حياتنا على هذا الأساس ، من اليقين ، والثقة ، والضمان ، على أساس من صخر هو بالنتيجة الإيمان . . .

وهكذا . . . على هذا المنوال (وهذا غيض من فيض) ، نكتشف كنوز هذا الكتاب ونحيا بالروح . . .

الأرشمندريت

الياس مرقص

المدخل

إن أغلب آباء البرية الكبار علّموا ولم يكتبوا . علّماً بأعمالهم وبأقوالهم . فأخذ السامعون يتقبلون أقوالهم بعطش وحماسة . فكانت عبارة: «قل لي كلمة كي أخلص» قولا شائعاً في أوساط النساك القدماء والجدد، يُوجَّه إلى الشيوخ المعوّل عليهم روحياً. وهؤلاء كانوا يصمتون إن لم يكن عندهم ما يقولونه.

وهكذا بقيت أقوالهم حيّة في آذان السامعين ، ثم انتقلت مشافهة من جيل إلى جيل . ولحسن الحظ ، أن استقرارها في الكتب لم يتأخر. فقد دوّن أخبارَ العديد من آباء البرية الكبار وأقوالهم كتّابٌ ذوو كفاءة وشأن ، إذ عرفوا الأمور عن كثب ومن خلال الاتصال الشخصي بآباءٍ كأثناسيوس وبلاذيوس وكسيانوس ويوحنا موسخوس وحفظوا الكثير من أقوالهم .وكان طبيعياً أن يقدموها بأسلوبهم الخاص .

أمّا المجموعات التي تحفظ مثل هذه الأقوال وتُغْفِل اسم قائلها فتتّسم بالموضوعية والشمول . وتقدمها بشكلها الطبيعي البسيط غير المتكلَّف به وغير المتقن ، فتعطينا صورة حيّة عن حياة القفر في القرون الأولى من الحياة الرهبانية . إن أقوال الآباء الشيوخ هي الأقوال الرئيسة في هذه المجموعات .

تقليد أقوال الشيوخ

في التقليد المخطوطي ، وردت هذه المجموعة تحت عناوين متعددة : أقوال الشيوخ المأثـورة ، (Apophthegmata Geronton) ؛ كتاب الشيوخ القديسـين ، المسمـى بكتـاب الفـردوس ، (Paradisos) ؛ وكتاب في أقوال القديسين والشْيوخ وأخبارهم ، أي الروضة الكبيرة(Limonarion Mega) . ويحوي أقوالا نطق بها متوحدون تألقوا في مصر في القرون الأولى من الحياة الرهبانية ، كما يحوي اعمالهم وانجازاتهم . ولقد اضيفت اليها فيما بعد مقاطع أخرى من خارج هذين الزمان والمكان . وهكذا اتخذ هذا العمل اسم أقوال «الشيوخ» (Gerontikon) وأقوال «الآباء»(Paterikon) .

هذه المجموعة في حالتها الحاضرة متعددة الأشكال :

١) المجموعة الأولى هي النوع الأبجدي الذي يحمل العنوان الآتي : أقوال الشيوخ المأثورة(Apophthegmata Geronton). نشر J.Coteller [1] النص اليوناني الذي نُشر بشكل مشابه لما ورد في البترولوجيا اليونانية لمين Migne [2] . هذه الطبعة ناقصة ، لأنها استندت إلى مخطوطة واحدة فقط ، وهي مخطوطة Reg 2466 القديمة ، مع تغيرات عرضية في الهامش مأخـوذة من المخطوطـة Reg 2615 . هاتان المخطوطتان احتوتا على النص الأبجدي فقط ، وهما تقعان في ٩٥٠ قولا على وجه التقريب . ومن بين المخطوطات الأخـرى التـي تحـوي الكتاب نخص بالذكر المخطوطات التالية :

Coisl 126, Berol. Phill 1624, Mosqu. Synod. 351 التي يرد فيها أقوال أخرى . ويصل عدد الأقوال مع كل الإضافات إلى الألف تقريباً .

---

1. Ecclesiae Graecae Monumenta I, 338 - 712.

2. PG. 65, 71- 440 .

٢) نوع يغفل الإسم ، ويحوى مخطوطتين : Coisl 126, Beroll. Phill 1624. هذا النوع لا يذكر أسماء أصحاب الأقوال ، وقد فيه بعض التصنيف والتبويب ، لكن هذه المجموعة ناقصة ، إذ تصل إلى ٨ أقوال . إن Nau نشر ، على أساس المخطوطة الأولى ، نصف هذه الأقوال[٣] .

٣) عرف فوتيوس نوعاً من هذه الأقوال مقسّماً بحسب المواضيع . هذا النوع يُقسّم إلى ٢٢ فصلاً ، وهو ما زال محفوظاً إلى الآن في النص الأصلي ، إلا أنه لم يُنشر بعد . بيد أن الترجمة اللاتينية قد ضبطها الشماس بيلاجيوس والايبوذياكون يوحنا في القرن السادس ، اللذين ارتقيا ، كما يبدو ، إلى السدة البابوية ، تحت اسمي بيلاجيوس الأول (٥٥٥ ـ ٥٦٠) ويوحنا الثالث (٥٦٠ ـ ٥٧٣) . وهما قسّما هذا النوع إلى ٢٢ فصلاً كذلك . وتطابق هذه الفصول وصف فوتيوس من الناحية الأساسية ، لكن مع الفروقات الآنية أن فصول الترجمة هي في الأساس ٢٢ ، لأن الفصل الأخير من ترجمة بيلاجيوس (١٨) والأول من ترجمة يوحنا (١) هما الفصل ذاته .

يبدو ، من جهة أخرى ، أن ذكر الفصل الثالث قد شمله وصف فوتيوس ، وذلك في نسخة متأخرة، في حين أن الفصلين ٢١ و٢٢ أُضيفا فيما بعد إلى الفرع الأصلي. هكذا تكون الفصول ١ ـ ٢٠ عند فوتيوس مطابقة للفصول ١ ـ ١٨ عند بلاجيوس و٢ ـ ٤ عند يوحنا . ومن الأقوال الـ ٩٥٠ المنشورة من الفرع الأبجدي، ثمة ٤٢٠ قولاً موجودة في الفرع المنهجي المرتب وفق المواضيع[٤]. لكن هناك ٣٧ قولاً لا تظهر في الفرع الأبجدي[٥]. كما يحوي هذا النوع ٢٧٠ قولاً من النوع الذي يغفل الإسم[٦]. وفي الترجمة اللاتينية يحمل هذا النوع العنوان Seniorum Verba

---

3. F. Nau, Revue de l'Orient Chétien 1907- 1912.

4. Muploblbyos 198. (Myriobiblog).

5. Kws. Aonvwv 2094. Mosq. Synod 342. 344. 345. a. Kod. Athens.

بعض هذه الأقوال موجود في مخطوطات أخرى من النوع الأبجدي .

وقد نشرها Rosweyde الذي أصدر أيضاً مجموعتين أصغر حجماً في ترجمة لاتينية قديمة[٧] .

هذا النوع محفوظ أيضاً في ترجمة سريانية وأرمنية ، وهناك أقسام في ترجمة قبطية .

٤) النوع الواسع هو من عمل بولس افريتنوس الذي عاش في القرن الحادي عشر ، وهو تحت عنوان « مجموعة التعاليم والأقوال المنطوق بها من الله للآباء القديسين حاملي الله »[٨]. أضاف بولس إلى مؤلَّفه هذا مادة من الشيوخ اللاحقين ، بصرف النظر عن المكان . فطوّر النص مبوّباً إياه بدقة وانتباه ضمن ٤ كتب ، وفي كل كتاب ٥٠ فصلاً . وفي هذه الفصول أدخل التبويب الأبجدي .

٥) هناك أنواع حديثة ذات أهمية ثانوية انبثقت من النوعين الأساسيين ، الأبجدي والموضوعي ، إنما ليست كاملة ، وإن ابتغت الكمال . وفي أزمنة متأخرة أخذ كل دير يعتز باقتنائه مجموعة خاصة به ، فكانت الزيادة في العدد امراً لا مناص منه . وهكذا أصبح عندنا عدد كبير من أقوال الشيوخ والآباء .

---

7 - Vitae Patrum V, v PL 73, 855-1024. Vitae Patrum, iii PG 73, 738-810. Vitae Patrum Vii PG 73, 1025-1062.

٨ - طبعة نيقوديموس الآثوسي ، البندقية ١٧٨٣ ، وطبعات لاحقة .

شيوخ البرية

إن الأقوال الموجودة في النوع الأبجدي اليوناني مصدرها ، أساساً ، الآباء الذين عاشوا في الأسقيط . وكان أغلبهم من القرويين المصريين القبطيين الـذين يجهلون الثقافة العالمية . حتى وصفوا بأنهم (غير مثقفين) و (غير متعلمين) . لكنهم امتلكوا تربية النسك الخلقي ، كما سنرى في نقاط أخرى من هذا المدخل .

سأل ارسانيوس شيخاً مصرياً عن موضوع أفكاره الشريرة ، فتساءل أحد الحاضرين : «كيف تسأل هذا القروي غير المثقف عن أفكارك وأنت تعرف العلوم اليونانية والرومانية ؟» . أجاب ارسانيوس : «أنا أعرف العلوم اليونانية والرومانية ، لكن أبجدية هذا القروي ما تعلمتها بعد » (ارسانيوس) .

بالطبع ، إن الثقافة اليونانية كانت قد انتشرت في الأماكن الريفية ، وإن كان انتشارها هناك انتشاراً تجريبياً وليس منهجياً . وفي أسوأ الحالات ، فإن النساك الذين كانوا مضطرين إلى فتح الكتب المدونة باليونانية ، لأن الترجمات إلى القبطية لم تكن كافية ، الموّا بشيء من اليونانية . ويُذْكر مثلاً أنّ الأب بيمين ما كان يعرف اليونانية ، لكن حدث مرة أنه ، في غياب المترجم ، تكلّم اليونانية بطلاقة (بيمين ١٨٣) ، مما يشير إلى أنه كان ملماً بها ، إلا أنه كان متردداً في النطق بها خوفاً من أن يُلْحن في الكلام . في أي حال ، بالرغم من كل عناصر التفكير اليوناني الموجودة في كتاباتهم ، ولا سيما الفلسفة الخلقية المبثوثة في أقوالهم المأثورة ، نستطيع القول عموماً إنهم في غالبيتهم لم يتلقوا دروساً منهجية .

كانت البرية مدرسة ، لا بل مدرسة نموذجية تقريباً ، فكان لدى الأب سلوان (سلوان ١) اثنا عشر تلميذاً ، وكذلك لدى الأب بيمين . فكل النساك

الجدد الذين أتوا للالتصاق بالشيوخ القدامى كانوا يُدعون تلامذة، إلاّ إذا كانوا كباراً في السن، فيُدعون أصحاباً. إننا نجد أنهم نقلوا إلى البرية المنهج التربوي الموجود في العالم اليوناني، والمجتمع الدنيوي، لكنهم أجروا فيه تعديلاً، لأن ابتغاء المعارف والعلوم أُقصي هنا، وبقي الهدف الوحيد هو طلب الفضيلة.

كان الشيوخ مستعدين للردّ على جميع الأسئلة الموجهة إليهم، أو للمبادرة إلى الكلام، إلا إذا رأوا أن كلامهم غير مقبول عند السامعين. وفي بعض الحالات كانوا يتحاشون الكلام. فذات يوم زار أناس من العالم الأب سيسوى، وكلّموه كثيراً، لكنه لبث صامتاً (سيسوى ٢١). من الواضح أن هناك سبباً وراء صمته. إلا أن القانون الأساسي عندهم هو التعليم. لم يدوّنوا، لأنهم لم يشعروا بالحاجة إلى ذلك، والقسم الأكبر منهم لم تكن لديهم الكفاءة لذلك. وكان من الطبيعي أن يدوّنوا باليونانية غير أن معرفتهم بها لم تكن كافية. أمّا اعتبارهم فكان معترفاً به بشكل عام، إذ جاء إليهم البسطاء ورؤساء الأساقفة والحكّام يطلبون سماع أقوالهم. وان هؤلاء النساك على علم بقوة كلامهم. فالأب بيمين، الذي امتاز بتواضعه كان يتكلم عادة بشكل مؤثّر للغاية. لقد كُتب، قال بيمين: « صدقوا ما رأته أعينكم (أمثال ٢٥ : ٨)، وأنا أقول لكم : لا تشهدوا إن لم تلمسوا بأيديكم » (بيمين ١١٤). وهكذا، دون أن ينقضوا روح الإنجيل، كانوا يحتكمون إلى خبرتهم الروحية، فيقدمون شيئاً جديداً، على الأقل بالنسبة إلى شريعة العهد القديم (أمّا أنا فأقول لكم).

يصل عدد الشيوخ الذين نجد أقوالهم المأثورة في هذه المجموعة إلى ١٣٢ شيخاً (بصرف النظر عن الملاحظات التي سنوردها في الحواشي)، ينتمون بمجملهم إلى القرن الرابع، والنصف الأول من القرن الخامس. أكثر من نصفهم كانوا إسقيطيين والأسقيط منطقة تغطي جزءاً كبيراً من مصر السفلى، في الجهة الغربية من دلتا النيل باتجاه ليبيا. تقع على مسافة ٧٠ كلم جنوب بحيرة مرياط القريبة من الإسكندرية. وتصل إلى مشارف مدينة دلتا ترينوتي وتشمل خمس نواحي :

أ) برية الاسقيط نفسها
ب) القلالي
ج) جبل النطرون
د) جبل الفريم
هـ) الواحة .

ومنذ تأسيس رهبنة الأسقيط ، وحتى نهاية الفترة التي تغطيها أقوال الشيوخ الواردة في هذا الكتاب ، يمكننا أن نفترض وجود أربعة أجيال من النساك بين سنة (٣٢٠- ٣٥٠ - ٣٨٠ - ٤١٠) . مؤسس الرهبنة هناك هو عمّون الذي استقر في جبل النطرون ، وكان معاصراً للقديس انطونيوس الكبير ، وقد قابله في مناسبات عديدة . ولئن كانت أقواله قليلة العدد (ثلاثة فقط) ، إلاّ أنّ هذا قد يُعزى إلى أن تلاميذه أغفلوا تدوينها باكراً أو إلى التباس اسمه مع أسماء مشابهة . ولعلّ بعض الأقوال التي تحمل اسم آمون هي من أقواله . إذ أن هناك أقوالاً كثيرة تحمل اسم آمون (١٠) الذي كان ذا صلة بالقديس انطونيوس الكبير . وليس من سبب يجعلنا ننسب الأقوال (٧ - ٨ - ١٠) إلى شخص آخر ، لأن معلّم هذه الأقوال يرد ذكره كأسقف . ونعرف أن عدداً من هؤلاء الآباء قد أصبحوا أساقفة . وهناك آمون آخر يرد ذكره في وقت متأخر أيام بيمين الجديد . ومع آمون وأنطونيوس هناك رفيق ثالث هو الأب بيمين (آمون ٢ ، أنطونيوس ٤)، الذي لا يمكن بشكل من الأشكال أن نطابقه زمنياً ببيمين الكبير والجديد . ويحسن أن نفترض أن بعضاً من أقواله قد نسبت إلى هذا الأب . وكان سيسوى أيضاً معاصراً للأب انطونيوس وصديقاً له . وسيسوى هذا أقام في الجبل بعد رقاد أنطونيوس ، ومنه انطلق فيما بعد إلى جبل طيبة (سيسوى ٤٨) . إن الأقوال المأثورة التي تحمل اسم سيسوى تعود إلى رجلين يحملان هذا الإسم ، الأول عاش في الجيل الأول وقد أتينا على ذكره ، والثاني عاش في الجيل الثالث . لكن من الصعب أن نفصل بين الإثنين بدقة . ومن أصدقاء سيسوى الأول هناك الأب بيستوس الذي وصلنا من أقواله قول واحد فقط .

الأب أور كذلك ينتمي إلى الجيل ذاته ، ويذكر اسمه في مجموعة مهمة

تتألف من ١٥ قولاً . وبين جيله والجيل اللاحق هناك الأب مكاريوس المصري ، الشخصية الفذّة ، الذي نسك في برية الاسقيط وعُرف كقائد للمتوحدين هناك لعدة عقود من الزمن ، إلى أن رقد حوالى ٣٨٥ م . ان بلاديوس وروفينوس[٩] أدرجا تحت اسمه ملاحظات هامة في مؤلفاتهما ، وقد سعى تلاميذه إلى حفظ عدد من أقواله كاف (٤١ قولاً) . وتُنسب إليه خمسون عظة روحية . وفيليكس ليس سوى مكاريوس باسم مُتلَتين (لاتيني) .[١٠]

وفي الجيل الواقع سنة ٣٥٠ امتاز الأب بمفو الذي ينسب إليه ١٤ قولاً في المجموعة . وقد أجَلّه القديس اثناسيوس الكبير كثيراً ، ودعاه إلى الإسكندرية . أمّا ثيوفيلوس فقد زاره بنفسه . ويضعه روفينوس في مصاف مكاريوس الأول والثاني إكان الأب بيور معاصراً له كما يذكر التاريخ اللافسياكي[١١]. وفي إحدى الحلقات التي انعقدت بين الشيوخ الذين كانوا يتباحثون برئاسة بمفو (بمفو ١١ وفق مخطوطة برولين) ، برز أب اسمه أشعياء ، إلا أن الأقوال المنسوبة إليه في هذه المجموعة يبدو أنها تنتمي إلى أشعياء آخر عاش في الجيل الرابع . وإيسيدوروس ، قسيس الاسقيط، المدعو في مكان آخر قسيس النطرون، مثّل دوراً قيادياً بين النساك، وأصبح مشهوراً بينهم (٩ أقوال) . كذلك هناك أقوال أكثر (٢٩ قولاً) حفظت باسم الأب ثيوذوروس الفرمي الذي هو ، كما يبدو ، ثيوذوروس الأسقيطي الذي يذكره كسيانوس[١٢]. ومن معاصريه كان الأب كرونيوس (له خمسة أقوال) ، ويوحنا الخصي (له قولان) ، الأول منهما عن الترجمات القديمة ، أمّا القول الثاني فيغيب عن الترجمات اللاتينية ، في حين ينسب في الترجمة السريانية إلى أنطونيوس الذي ينطق به بطريقة أخرى . ثمة أقوال أربعة أخرى تحمل اسمه لكنها تنسب إلى يوحنا كيليكس . أمّا بيساريون الذي عاش حتى نهاية مملكة ثيوذوسيوس الأول (له ١٢ قولاً) فينبغي أن نضعه في هذا الجيل ، لأنه يتحدث مع الأب

---

٩ ـ التاريخ اللافسياكي (١٧) ،
وتاريخ المونا خوروم (٢٨) .

١٠ ـ التاريخ الكنسي (٢, ٤, ٨) .

١١ ـ التاريخ اللافسياكي ١٠ .

١٢ ـ Collationes 6 .

بمفو . ويرد قولان لتلميذ الأب ذولاس ، وهما يغيبان عن الترجمات القديمة ، غير أن القول الثاني يطابق قول افاغريوس(٢) .

في الجيل الثالث ، أي في سنة ٣٨٠ ، الذي يوافق زمن أسقفية ثيوفيلوس في الإسكندرية، كان عدد الأقوال المأثورة أغنى، رغم أن الجيلين الأولين كانا يشملان أسقفية اثناسيوس الطويلة الأمد. إن أوساط الأب بيمين تحسب الأب موسى لسان حالها، (فمن الجيل الثالث للاسقيط ومن أيام الأب موسى لم يعد الاخوة يتقدمون بعد) (بيمين ١٦٦) . كان موسى حبشياً ولصاً سابقاً كما يُستدل من التاريخ اللافسياكي، ومن أقواله البالغة ١٨ قولاً .

يحمل بفنوتيوس لقب الكفالاس[١٣] . وهو خلف إيسيدوروس في قسوسية الاسقيط وكان تلميذ مكارويس . أمّا شخصيته المشعّة فيمكن أن تظهر لنا من أقواله الخمسة . رافق إيسيدوروس في الاسقيط شخص آخر هو كاريون (له قولان)، الذي تتلمذ عنده ابنه زخريا الذي رقد وهو شاب (له ٥ أقوال) .

إن اسحق قسيس القلالي ، كان تلميذ ثيوذوروس الفرمي وكرونيوس (له ١٢ قولاً) . وكان مُساكنه شخصاً يدعى إبراهيم ، ولقد تمثّل في المجموعة (بثلاثة أقوال) واقترن اسمه بآرى (له قول واحد) . وكان اغاثون ناسكاً بارزاً في هذه الفترة ، تتحلق حوله شخصيات نسكية أخرى (له ٣٠ قولاً) . أمّا الأب لوط (وله قولان) فاقترن اسمه بأغاثون وأرسانيوس ، وإن عاش في أرسنويتي . وإيليا كان أيضاً تلميذاً للأب اغاثون (له ٨ أقوال) . في القول الثامن يُسمّى ناسكاً هدوئياً ، ويُقدَم لنا وهو يعيش في كهف الأب سابا . لكن في أقوال أخرى يذكر أنه « رجل الخدمة » . هذا يشير إلى وجود شخصيتين مختلفتين . في أية حال ، إن في الترجمة السريانية ثلاثة أقواله له ، وفي اللاتينية الكبيرة قولين ، وفي اللاتينية الصغيرة قولاً واحداً . والأقدم من أغاثون كان صديقه ألونيوس (له أربعة أقوال) .

١٣ـ Collationes 3,1,3

في هذه الآونة ، هناك شيخان لم يُعرفا كثيراً وهما سيرابيون (له ٤ أقوال) ، وسيرينوس (له قولان) ، ينبغي أن يكونا الشخصين اللذين حملا الاسم نفسه واللذين تحادثا مع كسيانوس[١٤] . ويرتبط بهما وبالأب فتيميوس أبوان اسمهما آموى (له خمسة أقوال) وأخيلا (له ستة أقوال) .

إن أرسانيوس الشريف الروماني ـ اليوناني قدم إلى الاسقيط وهو طاعن في السنّ ، بعد أن كان إستاذاً لابني ثيودوسيوس الأول ، أنوريوس وأركاذيوس . وفي القول الحادي والعشرين خرج ارسانيوس يبكي ويقول : عندما أقفر الاسقيط « فقد العالم روما ، والرهبان الاسقيط» .

ينبغي أن يكون قد وقع ذلك بعد نهب روما على يد القوط سنة ٤١٠ . ثم عاش ١٥ سنة قرب الإسكندرية في بتراء تروى . يتمثل في ٤٤ قولاً . رومايوس (الذي له قولان) هو ارسانيوس نفسه .

إن سيسوى الثاني عاش في البتراء ، كما يتضح من القولين ٢٣ و ٢٦ ، وكان اسقيطياً ذا صلة ببيمين الكبير ، وإن كان بيمين أصغر منه . وأكثر الأقوال (٥٢ قولاً) التي تحمل اسم سيسوى هي له . والأب تيثوى يمكن أن يكون سيسوى نفسه (له سبعة أقوال) ، وهذا يجعل عدد أقواله كبيراً ، فيكون الثاني بعد بيمين في عدد أقواله . وهناك أخيراً ، الأب كوبريس الذي هو أقدم من الأب بيمين (له قولان) .

في الجيل الرابع ، أي في السنة ٤١٠ ، نجد شخصية كبيرة هي يوحنا الكولوفس (٤٠ قولاً) تلميذ آموى ، الذي كان له تلميذ آخر هو يوحنا الطيبي (قول واحد) .

كما أن هناك شخصاً معاصراً لأخيلا وآموى اسمه أشعياء (آموى ٢ ، أخيلا ٣) الذي كان أصغر سناً منهما ، وكان معاصراً لبيمين . وإليه تنسب مجموعة من ١١ قولاً وليس إلى أشعياء القديم الذي رأيناه سابقاً والذي عاش في النصف

---

١٤ ـ Collationes 18,11 , Collationes 7,8 .

الثاني من القرن الخامس . بالطبع ، إن تقليد هذه الأقوال غير أكيد ، لأن الترجمة السريانية تحتفظ منها بقولين فقط ، والترجمة اللاتينية تذكر قولاً واحداً ، بينما لا تذكر الترجمة اللاتينية الصغيرة شيئاً البتة .

أمّا دانيال الفرعوني (وله ثمانية أقوال) فكان تلميذاً وفياً لأرسانيوس . وقد ورث عنه العباءة الجلدية والقميص والنعلين . وهناك أب يدعى أفيذيمون تحدث عن الأب بفنوتيوس وعدّه أباً للاسقيط ، إلا أن قوله الواحد يغيب عن الترجمات اللاتينية ، وفي السريانية يُنسب لأب يدعى آمون(Eudenon, Amon) .

إن للأب بيمين مساهمة كبرى في المجموعة ، إذ يُنسب إليه ١٨٧ قولاً ، الأمر الذي يشير إلى نشاط تلاميذه في ترتيب أقواله . وهو أتى الاسقيط حوالي سنة ٤٠٥ م مع اخوته الستة . وبعد دمار الأسقيط أقام في مصر الوسطى . وكما رأينا ، فإن بيمين ، الذي كان زميلاً للأب آمون وللأب أنطونيوس ، هو شخص آخر . أخوه أنوف كان أكبر منه سناً ، لهذا كان رئيس الجماعة في السنوات الأولى ، وله قولان فقط . وفي حلقته الأوسع عندنا سارماتا (٤ أقوال) وذيوسقوروس (٣ أقوال) .

هناك سلسلة من شيوخ آخرين غير بارزين ، لا نعرف في أي وقت عاشوا . كما أننا لا نعلم إذا عاشوا في الاسقيط أم خارجه ، ولكن نستنتج أنهم ذوو علاقة به . وإلاّ فكيف نبرّر احتواء هذه المجموعة لأقوالهم . وهؤلاء الشيوخ هم :

أبولو الذي عاش أيضاً في القلالي ، وإسحق الطيبي (له قولان) ، وبنيامين الذي عاش في القلالي ولعلّه كان قسيساً هناك (له خمسة أقوال) ، وإيلاديوس الذي عاش في القلالي ٢٠ سنة (له قولان) ، ويوحنا رجل القلالي (له قولان) الأول ينسب إلى يوحنا رجل القلالي ، والثاني إلى يوحنا الطيبي . هناك كذلك أولمبيوس الذي كان في القلالي (له قولان) ، وثيوذورس الاسقيطي (قول واحد) ، ويروندويوس الذي في البتراء (له قول واحد) ، ويعقوب رجل الخدمة (وله أربعة أقوال)[١٥] ، وكسنثيا (له قولان) ، وبولس الذي من العالم (وله

١٥ ـ هناك شخص اسمه يعقوب عاش في بلاد العرب المصرية ، وهناك يعقوب آخر عاش في الكليزما ومن ثم في الاسقيط (ولعل يعقوب الثاني هو نفسه يعقوب رجل الخدمة) .

قولان) ، وتيموثيوس أخو بولس (له قول واحد) ، وفورتاس (له قول واحد) ، وميوس الفلاليو (٣ أقوال) ، وأفيربيوس (٧ أقوال) ، وهيراقليوس (قول واحد) ، وبولس الغلاطي الكبير (٣ أقوال) ، وروفوس (قولان) ، وثيوناس (قول واحد) ، وايراكس (قول واحد) ، وايسخيريون (قول واحد) ، ونيكيتا (قوال واحد) ، وبيستامون (قول واحد) ، ورومانوس (قول واحد) ، وسيمون (له قولان) ، وسوباتروس (قول واحد) ، وخومي (قول واحد) .

في هذه المجموعة ، يوجد إلى جانب الشخصيات الاسقيطية أسماء المتوحدين البارزين الذين عاشوا في الاسقيط أو كانوا على صلة بقادته الشهيرين . وفي هذه السلسلة يأتي ، أولاً ، بطل النسك الأول أنطونيوس الكبير ، (له ٣٥ قولاً) ، الذي كان يزور الاسقيط ، بين الحين والآخر ، قادماً من ابتانوميذا (المحافظات السبع في مصر العليا) .

وكان الاسقيطيون بدورهم يزورونه . وهناك قول واحد لكل من التلميذين بيتيرنس وبولس البسيط . وبالعكس ، فإن باخوميوس مؤسس نظام الحياة المشتركة ، لم يجد سبيلاً إلى هذه المجموعة التي تَدفع إلى الأمام مُثل النسك القفري ، لا الرهبنة المشتركة ، ولكن عندنا قول لكل من التلميذين أوسيوس وبنثايسوس .

أمّا الذين أقاموا في منطقة الميل التاسع غربي الإسكندرية فهم جماعة رهبانية كانت لهم صلة وثيقة بأهل الاسقيط . فحفظ لدينا بعض أقوال لعدد من ممثليهم ، كثيوذوروس (٣ أقوال) ، ولوكيوس (قوال واحد) ، ولونجينوس (قول واحد) .

كما أن الذين أقاموا في بمفو كانت لهم صلات وثيقة بأهل الاسقيط، فيوسف الذي من بمفو يظهر من خلال عدد من الأقوال كاف (١١ قولاً) ، وآخرون غيره يظهرون من خلال عدد أقل مثل خريمون (وله قول واحد) ونيستروس (٥ أقوال) ونيستروس الذي عاش في دير ذي حياة مشتركة (له قولان) ، ويظهر أنهما الشخص ذاته .

الأب سلوان (١٢ قولاً) عاش في سيناء ، وفق أقواله ، ولكن ، من أقوال

تلاميذه مرقس ، نجد أنه انتقل من سيناء إلى سوريا ، في حين أنه عاش سابقاً في الاسقيط.

ومرقس هذا (له ٥ أقوال) لم يتمكن من مصاحبة معلّمه في سوريا ، لأنه رقد في عمر مبكّر . لكن تلميذه زينون (له ٨ أقوال) فعل ذلك . وهناك تلميذ آخر يدعى نترا (له قول واحد) صار فيما بعد أسقفاً على فران .

وفي سيناء وجوارها عاش بعض النساك الذين كانت لهم علاقة بالاسقيط ، أمثال الأب ماتويس (١٣ قولاً) ، وميثيوس (٤ أقوال) ، وبطرس البيونيتي (٤ أقوال) ، ونيكون (قول واحد) ، وكسيوس (وله قولان) ، والقول الأول لهذا الأخير يقابل ، جزئياً ، القول الثاني للأب ابراهيم ، والقول ٢ ب للأب سيسوى ، والقول ١٩ لبيمين .

ولأسباب عديدة أُدرجت في هذه المجموعة ، أثناء المرحلة المبكّرة من تأليفها ، أقوال لبعض الشيوخ المصريين الآخرين ، إنما بأعداد قليلة ، أمثال ثيوفيلوس رئيس الأساقفة (٥ أقوال) وبولس الطيبي (قول واحد) ، ويوحنا تلميذ الأب بولس (له قول واحد) ، ويوحنا الفارسي (أربعة أقوال) ، ومرقس المصري (له قول واحد) ، وثيودورس ألفتروبوليتس (المواطن الحر ، له قولان ، النصف الأول من القول الثاني ينسب إلى أب يدعى ثيوذوسيوس ، والنصف الثاني ينسب إلى شيخ أُغفل اسمه) ، وأفلويوس القسيس (له قول واحد) ، ويوسف الطيبي (له قول واحد) وكيرس الإسكندري (له قول واحد) ، وابفي (له قول واحد) ، وبطرس الذي من ذيوس (له قول واحد) ، وسارة (لها ثمانية أقوال) ، وإفخاريستوس الذي من العالم (له قول واحد) . ومن الأماكن البعيدة يتمثل مؤسّس صحراء فلسطين إيلاريون بقول واحد ، وفيلاغريوس بقول واحد ، وميليسيوس الذي من تخوم فارس بقولين .

أمّا الشخص الأخير الذي صاغ مجموعة الأقوال فاستأنس بمجموعات أخرى ذات محتوى مماثل قدمها شيوخ من خارج الاسقيط ومن خارج مصر ، وفيها تجسّدت أقوال معينة لشخصيات بارزة . وتغيب هذه الأقوال عموماً عن الترجمات

القديمة ، باستثناء بعض الحالات التي سنشير إليها . فاندراوس (له قول واحد) ، وآيو الطيبي (له قول واحد) ، وأموناثا (له قول واحد) ، وباسيليوس الكبير (له قول واحد) ، وبياري (له قول واحد نسبته الترجمة السريانية إلى ميسشيريو ، وتنسبه الترجمة الأرمنية إلى بيساريون) ، وغريغوريوس اللاهوتي (له قولان الأول موجود في الترجمة السريانية والترجمة اللاتينية الكبيرة) ويلاسيوس (له ستة أقوال ، الأول منها موجود في كل الفروع اللاتينية) ، وأبيفانيوس القبرصي (له ١٧ قولاً ، واحدٌ منها موجود في اللاتينية الكبيرة ، واثنان في اللاتينية الصغيرة) ، وافرام (له ٣ أقوال) ، وافاغريوس (٧ أقوال ، واحد منها موجود في السريانية ، وستة في اللاتينية الكبيرة) ، وثيوذورس (٧ أقوال) ، وإيسيدورس بلوسيوتي (له ستة أقوال) ، وإيسيدورس القسيس ، الذي عرف من خلال معارضته لرئيس الأساقفة ثيوفيلوس (٧ أقوال) ، وكسيانوس (٨ أقوال ، اثنان منهما موجدان في الترجمة السريانية ، واللاتينية الصغيرة دون ذكر اسم القائل ، والستة الأخرى موجودة في اللاتينية الكبيرة ، إلى جانب أقوال أخرى) ، وكريوس البوليتيكوس (٣أقوال) ، ونيلوس (١٠ أقوال ، واحد منها موجود في اللاتينية الكبيرة) ، واسبيريدون (له قولان) ، وسنكليتيكي (١٨ قولاً واحد منها في السريانية تحت اسم ايبرخيوس واثنان في اللاتينية الصغيرة ، بدون اسم القائل ، إنما القول الأول منسوب إلى أحد الشيوخ ، وفي اللاتينية الكبيرة ١٥ قولاً) ، وسايو (قول واحد) ، وايبريخيوس (٨ أقوال ستة منها في السريانية ، واثنان في اللاتينية الصغيرة) ، وفوقا (قولان) وهو عاش في الاسقيط ، لكن مجيئه حصل بعد مجمع خلكيدونية مما جعل أقواله تغيب عن مسرح الترجمات القديمة .

مُثل السيرة التوحدية

هذه الأقوال صدرت عن نساك لتقديم مُثل السيرة التوحدية . ومع أننا نجد أحياناً مقاطع تتعلق بالحياة المشتركة ، فإن الثقل ليس هنا ، إذ تُقدم الحياة الجماعية وكأنها في موضع أدنى . فالأب نيسشيروس يُقدَّم ، بشكل مزدوج ، كعائش في

الشركة وكمتوحد . ومن المؤكد أنه قد خرج من حياة الشركة إلى التوحد كدرجة للحياة أسمى . ومن الأحداث المميزة حادثة متوحد كان يزور ، على التوالي ، شيوخاً كباراً ذكر لهم فكرة الدخول إلى الحياة المشتركة وهذه كانت تراود ذهنه . بفنوتيوس نصحه بملازمة قلايته وبممارسة صلاة في الصباح وصلاة في المساء ، وأخرى في الليل ، وبالأكل عند الجوع ، وبالشرب عند العطش ، وبالنوم عند النعاس ، وبالبقاء في القفر . وهذا نفسه زار الأب يوحنا الذي قال له شيئاً مشابهاً ، وأخيراً أتى الأب أرسانيوس الذي قال له إن ليس عنده ما يضيفه إلى أقوال الآخرين (بمفنوتيوس ٥) .

كان لبيمين اخوة كثيرون بحسب الجسد ، وقد تقبّل اصحاباً كثيرين في دائرته ، إلا أنه لم يؤسّس حياة مشتركة لأنه كان يعتقد أنه يضع عوائق في طريق الكمال الخُلقي . وعندما سأله رئيس الدير كيف يقدر أن يقتني مخافة الله أجابه :

« كيف نقدر أن نقتني مخافة الله ونحن نملك في قلالينا براميل للجبن ، وأواني للأطعمة المجفّفة؟» (بيمين ١٨١) .

حياة الراهب جهاد مستمر ، مسيرة وحرب . «أخ حورب بالوقيعة» ، « أخ حورب بالزنى» : هاتان العبارتان هما من العبارات النموذجية المألوفة جداً في الأقوال المأثورة . طبعاً ، فالحرب ربح وخسارة ، سقوط ونهوض بلا توقف . جاء راهب إلى الأب سيسوى وسأله حزيناً ، ماذا يعمل ذاك الذي سقط؟ فقال له: «إنهض ثانية» ، فتابع الراهب قائلاً: «نهضت، لكني سقطت ثانية» ، فقال له سيسوى: «إنهض من جديد» (سيسوى ٣٨) . هذه هي الحياة، وسعيدٌ ذاك الذي سيوجد بقوته في حالة القيامة .

الحرب يشنها الشيطان مع خدامه الذين هم رفقاء للنساك دائمون . هذا الحضور لا يثير ألماً واضطراباً عند الكاملين ، إنما يثير الحزن عند ذوي الخبرة القليلة . جاء أحد الشياطين إلى قلاية الأب ثيوذورس الفرمي (ثيوذوروس الفرمي ٢٧) ، فأمسكه الأب وربطه في الخارج ، ثم اقترب شيطان آخر فربطه إلى جانب رفيقه . بعد ذلك جاء ثالث وأراد أن يدخل عنوة ، فقاسى ما قاساه الآخران . عند

ذلك بدأت الشياطين الثلاثة تتضرع إليه لكي يطلقها، فحلّ رباطها وأطلقها، فغادرت خجلةً . كان الأب مكاريوس المصري (مكاريوس المصري ٣) يراقب الطريق فأدرك وجود شيطان يسير في الطريق ويحمل أواني كثيرة . ولما سأله عنها قال إنه ذاهب ليذكّر الاخوة بأن هذه الأواني مليئة بالأطعمة المتنوعة لهم ، حتى أن كلّ واحد يقدر أن يختار منها ما يحلو له . فلما رجع كان حزيناً لأن الاخوة ما أطاعوه باستثناء واحد اسمه ثيوبمبو الذي ، ما إن رآه ، حتى تحرك كالريح . فحسب مكاريوس أن من واجبه أن يزور هذا الأخير (ثيوبمبو) ، وهكذا قبل هذا نصائحه المناسبة ، حتى إن الشيطان عندما عاد ثانية من مسيرته المعتادة أخبره أن ثيوبمبو صار أكثر شراسة من الجميع ضده . هكذا يتصرف الكاملون تجاه الشياطين ، لأنهم اجتازوا مرحلة الحرب ، في حين أن الجدد يحاربون باستمرار .

لكنهم يملكون القوة في أيديهم . فكل واحد منهم يملك في يسراه نار وفي يمناه ماء . فحالما يُشعل العدو النار يطفئها ذاك . طبعاً ، إن الشياطين الحاضرة في كل مكان هي أحياناً الأهواء مشخصنة . وليس دخولها أمراً ينبغي على الإنسان أن يتحاشاه ، لأن محاربتها تجعله أكثر امتحاناً واختباراً . يجب عليه أن يسمح للأهواء بالدخول ، لكن للحال ينبغي أن يحاربها ويخدّرها (يوسف بنفو ٣) .

هو قادر على ذلك بالصلاة ، والصوم ، والعمل ، والتوبة كذلك . وهذه الأخيرة (أي التوبة) تقتدر في فعلها بما لا حد له . الجميع يُشفون ويتعافون ، الزناة ، واللصوص ، والكذبة ، بل انهم يقبلونها فوراً . ساعة واحدة كانت كافية لنفس زانية حتى تقودها الملائكة إلى السماء على سلم نيّر (يوحنا الكولوفي ٤٠). وفي تربية الفكر النسكي لا مكان للإنشغال بالمسائل العقدية التي، ليست عديمة النفع فحسب، بل تثير الشقاقات والأحقاد. لذلك، عندما دعي كوبريس ، ذات مرة ، إلى اجتماع للبحث في شخصية ملكيصادق ضرب فمه بيده ثلاث مرات مبكّتاً نفسه وقائلاً: «ويل لك يا كوبروس لأنك أهملت ما أوصاك الله بفعله ، وشرعت تبحث في أمور ما طلبها منك» (كوبري ٣) . وكانوا أيضاً يهربون من مناقشة مواضيع من الكتاب المقدس ، لئلا يؤول الجدل إلى انقسام في

الرأي . فالأب عمون النطروني ، عندما سأله شخص :«أيّ نوع من الكلام يستخدم عند الحاجة ، كلام الكتاب المقدس أم كلام الشيوخ ، أجاب أنه من الحسن أن يصمت، لكن إذا لم يقدر ، فمن المستحسن عندئذ الإحتكام إلى أقوال الشيوخ ، لا إلى كلمات الكتاب المقدس ، لأن الخطر ليس بقليل » (عمون ٢) . فالأب بيمين أشاح بوجهه عن ناسك غريب شهير أتى لزيارته ، عندما ابتدأ ذاك بالكلام من الكتاب المقدس ، وما أن سأله رأيه في الأهواء حتى أصبح غزير الكلام . فكان جواب ذاك الغريب : « في الحقيقة ، هذا هو الطريق الصحيح » (بيمين ٨) . الإيمان نفسه له في تفكيرهم مضمون خُلُقيّ واضح : « الإيمان هو العيش بتواضع ، وصنع الإحسان » (بيمين ٦٩) .

عمل الناسك متشعب ، إلا أن هدفه واحد وهو اقتناء الفضائل . فيوحنا الكولوفي يريد الناسك حائزاً الفضائل كلّها ، حتى لو حاز قليلاً من كلّ منها (يوحنا الكولوفي ٣٤) . فمن أجلها يستنفد قواه كلّها وعمله كلّه . بيمين يوضح هذا في الظاهر ، والخفاء ، والتمني . أمّا الظاهر فهو العمل اليدوي ، والطعام الاحادي ، والصمت والقراءة ، أمّا الخفاء فهو لوم الذات، أمّا التمني فهو الاشتراك في الاجتماعات الإفخاريستية ، والخبرات المستيكية (بيمين ١٦٨) .

العمل اليدوي هو الوسيلة التي يؤمّن بها النساك معيشتهم الفقيرة . الأب بيمين (بيمين ٨) كان فخوراً ، لأنه ، مذ صار راهباً حتى مماته ، ما أكل خبزاً لم يخرج من يديه . جميع النساك عاشوا من تعبهم ، ورأوا أن العيش على حساب الآخرين عار . لذلك مارسوا الخياطة والحياكة والحصاد . لم يقوموا بتنظيم مشاريع زراعية ،لأن ذلك يخلق مقتضيات هي من خاصة الملاّكين فقط . قال أحد الاخوة للأب بيمين إنه يزرع حقله ، ومن انتاجه يحسن ويتصدق ، فأجابه في البدء « حسناً تفعل » . ولكن ، عندما لفت أنوف أخوه انتباه بيمين ، غيّر موقفه وأضاف أنه كان يظن أن هذا العمل يقوم به أخوه الذي في العالم ، لكن إن كان هو نفسه يقوم بهذا العمل فهذا لا يليق براهب (بيمين ٢٢) ، لأنه يسهم في إثرائه .

إلا أن في الأمر ما هو أبعد من هذا . فالعمل اليدوي هو اهتمام يلجم

الأهواء . فكلما مارس الناسك العمل اليدوي بالصلاة ، لن تستطيع الأفكار الشريرة أن تسود ضميره .

ولا يحتاج المرء إلى أكثر من ضروريات الحياة . فعلى الناسك أن يلبس ثوباً من النوع الذي ، إن علقه خارج بابه ثلاثة أيام ، لن يأخذه أحد (بمفو ٦) .

الإقلال من الطعام كان أيضاً وسيلة لضبط الأهواء . وكان القانون أن يأكل الراهب وجبة طعام واحدة . كان النساك يشرعون في أعمالهم دون تناول الافطار . وكانوا يتوقفون عن العمل في الثالثة بعد الظهر أو في السادسة مساء ليأكلوا . ويُفهم أيضاً أنهم ما كانوا يجلسون عند المساء إلى موائد غنية . وكان طعامهم خبزاً وماء وملحاً .

أمّا في الأعياد والزيارات فكان الطعام يحوي الخضروات والأطعمة المجفّفة . وكان ثمة رهبان يأكلون مرة كل يومين ، وآخرون كل أربعة أيام ، إلا أن هذا يُحسب مغالاة غير طبيعية . ينبغي أن يكون الطعام عملاً ثانوياً لا عملاً رئيسياً ، ولكي يدافع الأب بيور عن هذا الرأي دفاعاً رمزياً كان يأكل وهو يمشي (بيور ٢) . لكن الطعام ضروري ، والآباء يحدّدون مقياس الطريقة العام وهو أن يأكلوا قليلاً كل يوم (بيمين ٣١) .

الفضيلة التي تقدر أن تقود بيسر وسهولة إلى الكمال الخُلُقي هي التواضع الذي يُدعى تاج الراهب (أور ٩) . يوحنا كولوفوس استطاع بتواضعه أن يعلّق الاسقيط كله في خِنْصره (يوحنا كولوفس ٣٦) . لأن الناسك يسحق ، بهذه الفضيلة ، مشيئته الذاتية ويلتزم مشيئة الله . والطاعة هي نتيجة التواضع ، لذا فمن الطبيعي أن يفتش الناسك عنها في شكلها المطلق ، حيث تنتفي الأنانية انتفاء كلياً . الجميع تعجبوا من مرقس تلميذ الأب سلوان لأنه بلغ قمة هذه الفضيلة . وذات مرة ، وعلى مرأى من الجميع ، أراه الأب سلوان خنزيراً برّياً لا قرون له ، وسأله : «أترى ، يا بني ، هذا العجل؟» . فكان الجواب : «نعم ، يا أبتِ» . «وهل ترى مقدار جمال القرنين؟» . فكان الجواب أيضاً : «نعم ، يا أبتِ» (مرقس

٢) . لكن كانت هناك طاعة معاكسة تمثل فضلاً كبيراً من خلال طاعة الأب لابنه الروحي . فالأب سيسوى سرد حادثة طريفة جرت له أثناء زيارته الأب أور وتلميذه آثرى . ولما رأى طاعة التلميذ سأله عن كيفية اقتنائها . فكان جوابه أن هذه الطاعة هي طاعة الشيخ الروحي وليست طاعته . وساق له هذه الحادثة : كان عنده سمكة صغيرة أراد أن يعدّها للشيخ ، فأنضج نصفها في المقلى وأتلف النصف الثاني . ومن ثم قدم للشيخ النصف المتلف قائلاً : « أليست السمكة حسنة ، أيها الشيخ ؟ »، فأجاب ذاك : «إنها حسنة جداً » . وبعد ذلك قدم له القسم الذي أنضجه بشكل جيد وقال له : « لقد أتلفتها أيها الشيخ » ، فأجابه : « نعم لقد أتلفتها قليلاً » (بيستوس ١) .

كانت الدموع عنصراً هاماً في الجهاد عند آباء البرية . حتى أنها كانت أكثر من قطرات المطر ، ولذلك زرعوا بها القفار المجدبة . فهي وسيلة ضرورية للتطهر من الخطايا واقتناء الفضائل . فمن رام الفضائل اقتناها بالدموع (بيمين ١١٩) .

عندما رأى الأب إسحق ، مرة ، الأب بيمين في حالة الوجد الروحي سأله أين ذهبت ، فحصل على الجواب : «كان تفكيري في المكان الذي وقفت فيه والدة الإله تبكي قرب الصليب . هكذا أردت أن أبكي على الدوام » (بيمين ١٤٤) . لذلك ، يوصينا مكاريوس المصري أن نبكي وأن نذرف من مآقينا الدموع بغزارة ، قبل أن نرحل إلى هناك حيث تحرق الدموع أجسادنا (مكاريوس المصري ٣٤) . إن رموش جفون أرسانيوس تساقطت بسبب البكاء غير المنقطع (أرسانيوس ٤٢) . هذا البكاء هو من أجل تصرفنا السيّء ومن أجل طلب دالتنا المفقودة عند الله .

قال بيمين : «من يتكلم على الله يفعل حسناً ، ومن يصمت حباً بالله ، يفعل حسناً» (بيمين ١٥٠). وهكذا كان حب الشيوخ الآخرين مع الصمت فضيلة من الفضائل الكبرى وسلاحاً فعالاً للنصر في كل أمر (بيمين ٣٧). قال الأب أرسانيوس: «كثيراً ما ندمت، عندما تكلمت، لكني ما ندمت أبداً عندما صمتّ» (أرسانيوس ٤٠). ولكي يقتني الأب أغاثون الصمت أمضى ثلاث سنين وهو يضع حصوة في فمه (أغاثون ١٥).

كانت الصلاة هاجس النساك وشغلهم ، إلى جانب التأمل الداخلي ودراسة النصوص . وفضلاً عن الإشتراك الجماعي في القداس الإلهي نهار الأحد ، كانوا يقيمون الصلاة الخاصة ثلاث مرات في الصباح ، وفي المساء والليل ، وكذلك في الظروف الإستثنائية . لكنهم كانوا يرفضون عادات المساليانيين وينبذونها علانية . فلم يكن العمل عندهم عائقاً دون الصلاة ، كما زعم المساليانيون ، بل كانوا يتممونه بدقة . بالصلاة استطاع بعض الشيوخ الكبار أن يجترحوا الأعمال المذهلة ، بما في ذلك اقامة الأموات .

كان آباء البرية قساة على أنفسهم ، فعاشوا بصرامة ، وقادهم تواضعهم إلى لوم ذواتهم وازدراء نفوسهم بشكل متواصل . لما طلب بعض الولاة أن يروا الأب موسى ، سألوه هو نفسه كيف يقدرون أن يجدوه ، فقال لهم : «ماذا تريدون من هذا المجنون ؟» (موسى ٨) . بيد أنهم كانوا مترفقين بالآخرين . فالأب موسى ، عندما دُعي إلى اجتماع في الاسقيط للنظر في أمر أخ قد خطىء ، حمل على ظهره كيساً من الرمل مثقوباً . وكان يجيب الذين يسألونه بأن خطاياه تتساقط كالرمل وهو لا يراها ، لكنه يأتي اليوم ليحكم على خطايا الآخرين . أمّا الأخ المتّهم فقد عُفيَ عنه دون نقاش (موسى ٢) .

وما يلفت الانتباه هو ترفقهم الشديد بالخطأة فعندما سُئل عن مدة التوبة أثناء اقتراف خطيئة هامة : هل تفرض عقوبة لمدة ثلاث سنين ؟ قال: هذا كثير. هل تفرض العقوبة لسنة واحدة ؟ هذا كثير . أربعين يوماً ؟ هذا كثير أيضاً . بضعة أيام تكفي . في الحقيقة ، لم تكن لرقتهم حدود حتى أن الأب بيمين قال إن تعليم القريب كتوبيخه (بيمين ١٥٧) . سئل هو نفسه إن كان ينبغي توبيخ الأخ إذا شوهد وهو يخطأ ، فأجاب أنه لو حدث أن اجتاز المكان ورآه يخطأ لتظاهر بأنه لا يراه ، أي لتجاوزه دون أن يوبخه (بيمين ١١٣) . إنه لن يوقظ الأخ إذا نام صدفة في السهرانية ، بل سيضع رأسه على ركبتيه ليريحه (بيمين ٩٢) . ذات مرة ، ضلّ من كان يرشد الراهب إلى الطريق وانحرف عنها ١٢ ميلاً ، فأدرك الاخوة الذين كانوا معه ما حصل ، لكنهم تابعوا السير معه ، دون أن يقولوا له شيئاً ، لكي لا يحزنوه ، إلى أن أدرك هو نفسه أنه قد ضل الطريق (سيسوى

٣٠) . النزعة الإنسانية (أنسيّة) في الصحراء كانت ، في مستواها ، أرفع منها في العالم .

شكل مجموعة الأقوال وقيمتها

وضعت هذه المجموعة في اللغة اليونانية ، لا في شكلها النهائي فقط ، بل في كل عناصرها أيضاً . (يشير بوسي Bousset إلى أنه من غير المحتمل أن تكون الأمور قد حصلت بخلاف هذا (فالظاهرة نفسها تحدث دائماً ، إذ أن اليونانيين هم الروّاد في خلق الأدب الذي لم تكن مهيئة لكتابته الأوساط الشرقية البسيطة التي انبثق عنها هذا التقليد)[١٦].

أمّا من جهة صيغتها الأصلية فالأمر يختلف ، لأن الشيوخ الذين كانوا من أصل هلّيني أو متهلنين لم يستطيعوا أن ينطقوا بأقوالهم سوى باليونانية . وقد أشرنا سابقاً إلى قول للأب بيمين القبطي حينما نطق فجأة باليونانية . هذا الحدث يشير ، بقوة ، إلى أن جامع الأقوال قصد أن المألوف هو أن يورد أقواله بالقبطية ، الأمر الذي ينطبق على جميع الشيوخ الأقباط ، إلا إذا وجد أناس يجهلون القبطية . وبما أن أقباط تلك الحقبة كانوا مزدوجي اللغة ، فلا يجوز الإفتراض أنه كان بينهم أناس لم يَستخدموا اليونانية أبداً .

بالطبع ، إن الجامع الأول لهذه الأقوال كان يأخذها من أفواه قائليها أو ممن ردّدها فيدّونها كما هي ، بالقبطية إنْ كانت كذلك وباليونانية إن كانت كذلك ، دون أن يغيرّ شكلها . هذه الأقوال ، في مجموعتها ، أصيلة تصور وضعاً حياتياً وذهنياً ، دون أية محاولة للتغيير أو أية صناعة أدبية ، باستثناء الأقوال التي أضيفت لاحقاً إليها من الكتب . هي إذن صورة فوتوغرافية عن الحياة في مجتمع القفر .

كانت هذه الأقوال جواباً على سؤال : « ماذا أعمل ؟ » أو جواباً على توسل : « قل لي كلمة لأخلص » ، أو كانت تأتي بعد هذه الفاتحة : «قال الأب

---

١٦ ـ Apopthegmata Patrum

فلان ». وحتى في الحالة الأخيرة كانت هذه الأقوال تجيب على تساؤلات مطروحة ، وقلما كانت تنبع من إرادة الشيوخ الذاتية . وقد يأخذ القول ، أحياناً ، شكل حوار قصير .

كلّ قول في حد ذاته نص صغير . وكان الآباء ضد الأقوال الطويلة ، لأجل هذا غاب عن المجموعة السرد الطويل والمواعظ الطويلة .

العناصر الأدبية التي نصادفها فيها هي الآتية :

١) **النادرة** : سرد قصير لحدث غير مهم ، إنما له معنى خاص . يوحنا الكولوفي (بيمين ١١) صنع خوصاً لسلتين ، إلا أنه صنع بها سلة واحدة ولم ينتبه إلاّ حينما وصل إلى النهاية ، لأنه كان مأخوذاً بمعاينة الله (الثوريا) . إن تلميذ الأب سيسوى (٤) دعاه قائلاً: «هلم لنأكل »، فسأله الأب: «ألم نأكل يا بني؟» أجابه: « كلا ». عندئذ قال له: «إن لم نأكل هات لنأكل ». بهذا المقدار كانت لامبالاتهم بالطعام المادي.

ب) **القول** : نسمع باستمرار عبارة « قل لي كلمة » . فتارة كانوا ينطقون بآيات الكتاب بدل أن ينطقوا بأقوالهم . وطوراً كانوا يتكلمون دون أن يسألوا . وبوجه عام ، كانت الأقوال قصيرة ، بل قصيرة جداً أحياناً . على سبيل المثال: « أصمت ، ولا تقم وزناً لنفسك ».

ج) **المثل** : خير نموذج له ما ينطق به علماني أمام جماعة من الرهبان مع شرح له (بيمين ١٠٩) .

د) **الصورة الرمزية** : تظهر عادة من خلال المثل . الأب أشعياء أخذ وعاء وذهب إلى البيدر ليطلب قمحاً من الفلاّح . فسأله الفلاّح : «هل حصدت، أيها الأب؟»، أجابه« كلا »، قال : «إذن ، كيف تريد أن تأخذ قمحاً ما دمت لم تحصد ؟ ». فالقمح يجمعه من قدّم عملاً ، ويأخذ الأجرة من الله من عمل خُلُقيّاً .

هـ) **سرد المعجزات** : هناك عدد من هذا السرد كافٍ ، وهو دائماً موجز ومميّز .

و) الرؤى : تصف بعض رؤى الشيوخ الذين وصلوا إلى حالة الوجد والإختطاف .

أهمية هذه المجموعة لا تقدّر . وإذ كانت تُتناقل من لسان إلى لسان كانت تشكل صداقة بين المتوحدين والشيوخ : «قال الأب فلان إن الأب فلاناً زار الأب فلاناً» . والسامع يرافقهم عقلياً ويتعلم منهم . كانت الأقوال منتشرة في البرية بشكل واسع لتثقف الأخلاق وتربّي الشخصيات . فيما بعد صارت بأشكالها المتعددة فصولاً محبّبة للرهبان والعلمانيين . والحق يقال إنها ألماس حقيقي في الأدب المسيحي .

تحرير المجموعة

يقول المحرر الأخير لهذه المجموعة ، في مقدمته ، ان كثيرين من القدماء في أزمنة متعددة قدموا هذه الأقوال ومنجزات الشيوخ القديسين بشكل سردي بسيط وغير متقن ، لأنهم ابتغوا المنفعة المشتركة . لكن ، بما أن تقديمها كان مشوَّشاً ودون ترتيب ولا منهجية ، فقد برزت مشكلة في استخدامها وحفظها غيباً . لذلك رتّب هذا المحرر الأقوال التي تحمل أسماء قائليها على نحو أبجدي ، ورتّب الأقوال التي تغفل أسماء قائليها في فصول مرتبة وفق المواضيع . وعلاوة على ذلك ، اختار مادة أخرى من بعض الكتب وأضافها ، في النهاية ، إلى الفصول .

« فكثيرون ، في أزمنة مختلفة ، عرضوا اتجاهات الشيوخ القديسين وانجازاتهم بشكل سردي ، وبكلام بسيط غير محكم الصنع . لأنهم كانوا يتطلعون إلى شيء واحد وهو منفعة الكثيرين . لكن سردها الغامض والمرتبك كان يخلق صعوبة لذهن القارىء ، إذ لم يستطع أن يحوي في الذاكرة الفكر المنتشر في الكتاب بأشكال متعددة . لذلك غيرّنا عرض العناصر لتكون ، بالترتيب والإيجاز ، واضحة وظاهرة وتقدم الفائدة لمن يريدها . فالأقوال التي نطق بها الآباء أنطونيوس وأرسانيوس وأغاثون وكل الأسماء التي تبدأ بحرف الهمزة (أ) نضعها تحت الحرف (أ) وكل الأسماء التي تبدأ بالحرف باء ، مثل باسيليوس وبيساريون وبنيامين ،

نضعها تحت الحرف الأبجدي باء وهكذا حتى الياء . وبما أن هناك أقوالاً أخرى وأعمالاً أخرى للشيوخ القديسين لا تظهر فيها أسماء فاعليها وقائليها، فقد عرضناها بعد اكتمالها في فصول وفق مواضيعها . وبعد أن بحثنا في كتب كثيرة ودرسناها ، على مقدار ما وجدنا ، وضعناها في آخر الفصول » (المقدمة ٣ ـ ٤) .

وفقاً لذلك ، نجد أنفسنا أمام مجموعة جديدة من الأقوال تتألف من ثلاثة أجزاء :

ا) الأقوال التي رُتبت أسماء قائليها وفق الحروف الأبجدية .
ب) الأقوال التي تُغفل اسم قائليها والتي رتبت موضوعياً .
ج) إضافة مواد إلى أواخر الفصول من كتب أخرى .

إن تقليد النص اليوناني المنشور يحتفظ ، كما رأينا ، بالجزء الأول ، وبالجزئين الآخرين بشكل غير كامل . الجزء الثاني الذي عرفه فوتيوس يتمثل اليوم في اللغة اليونانية في مجموعات بعض المخطوطات التي ذكرناها سابقاً ، التي مادّتها غير مرتّبة وغير منظّمة . هذا الإختلاف في المادة حصل بسبب إضافات لاحقة . الجزء الثالث حوى مواداً مأخوذة من إبيفانيوس وإفاغريوس وكاسيان وإيسيدوروس وبيلوسيوتي ونيلس وفيوس عضو المجلس وآخرين غيرهم . لكن هذا الجزء مُدرج اليوم في الفرع الأبجدي ، ويظهر أن أحد الأشخاص نقل هذه المادة إلى الجزء الأول ، ما دامت تحمل أسماء قائليها .

على أساس ما قيل حتى الآن نستطيع أن نتتبع مراحل تأليف هذه المجموعة . طبعاً ، إن الشيوخ لم يدوّنوا ، للأسباب التي ذكرناها سابقاً ، ولأنهم آمنوا بأن كلمتهم الحية وتعاليمهم كانت كافية لتعليم النساك . لكن تلاميذهم دوّنوا . ونعرف أن مرقس تلميذ سلوان كان نساخاً (مرقس ١) . ولا نجد سبباً لنعتقد أنّ هذا كان استثناء وحيداً . في هذا الميدان كان تلاميذهم أكثر تأثيراً ، وهم يتمثلون بعدد كبير من الأقوال وذلك في الجيل الأول جيل مرقس المصري (٤١) وأنطونيوس (٣٨) وأور (١٥) ، وفي الجيل الثاني جيل ثيوذورس الفرمي (٢٩) وبامفو (١٤)، وفي الجيل الثالث جيل سيسوى(٥٢) وأرسانيوس (٤٤) وأغاثون

(٣٠) وموسى (١٨) ، وفي الجيل الرابع جيل بيمين (١٨٧) ويوحنا الكولفي (٤٠) .

هكذا نستطيع الزعم أنه ، بعد القرن الرابع بقليل ، ابتدأت بعض المجموعات بالإنتشار ، وكثرت مع مرور الوقت بإضافة أقوال أخرى لشيوخ صَدَف أن اكتسبوا مجموعات خاصة بهم . ومن حسن الحظ أن بعض هذه المجموعات قد اندمج . وأخيراً في منتصف القرن الخامس اندمجت مجموعات عديدة لتؤلف مجموعة واحدة ذات مادة غير منظمة . وإذا لاحظنا أن أغنى مجموعة هي مجموعة بيمين (١٨٧ قولاً) ، أي خمس المجموعات كلّها يمكننا أن نفترض بأن أحد تلاميذ بيمين اهتم بالتأليف والجمع .

تزايدت هذه المجموعات بإضافة أقوال جديدة إليها وانقسمت إلى عدة فروع يمكن أن نقتفي أثر ثلاثة منها في التقليد المخطوطي . والذين رتّبوها أدركوا الصعوبات التي تعاني منها مجموعة واحدة كبيرة غير منظمة على الإطلاق . لذلك اهتموا بترتيبها . واحدة من هذه المجموعات المنظمة موضوعياً تتمثل في الترجمتين اللاتينيتين الصغيرتين ، الأولى التي تغفل اسم مترجمها والثانية التي قام بها باسخاسيوس[١٧] . النوع الآخر المنظّم موضوعياً والأغنى من النوع السابق يتمثل في الترجمة السريانية .

النوع الثالث يتمثل ، أساساً ، في النص اليوناني المنشور (*) . وقد رأينا أنه يحوي ثلاثة أجزاء ، لكن الجزء الثالث اندمج في الجزء الأول ، في حين أن الجزء الثاني خضع للزيادة فخسر نسبياً شكله الموضوعي . هذا الجزء نشر جزئياً .

هناك من اشتغل بمادة النوع الثالث إذ فكّها ووضعها وفق مواضيعها في ٢١ فصلاً . هذه المجموعة الجديدة التي عرفها فوتيوس تتمثل في الترجمة اللاتينية الكبيرة لبلاجيوس ويوحنا ، وجزئياً في الترجمة الأرمنية . وبما أن هذه الترجمة عرفها بنديكت الذي أورد أقوال باستور (أي بيمين)[١٨] فيجب أن تكون قد صيغت قبل سنة ٥٣٠ التي دوّن فيها بنديكت عمله . وشكلها اليوناني ينبغي أن يكون قد نظم بعد السنة ٥٠٠ بقليل .

بنيوتيس خريستو

١٧ ـ Vitae Patrum III, VII .

١٨ ـ القول ١٩ لبيمين ، Regula 40 .

(*) الذي ننشر ترجمته العربية في هذا الكتاب (الناشر) .

القديس أنطونيوس الكبير

١ ـ عندما أقام الأب أنطونيـوس في البريـة ، صار في الضجر والفتور وظلمة الأفكار ، فكان يقول إلى الله : يا رب : أريد أن أخلص ، ولكن الأفكار لا تتركني . ماذا أعمل في حزني ؟ كيف أخلص ؟ وعندما نهض وتوجه إلى الخارج قليـلاً ، رأى رجلاً يشبهه جالسـاً يعمل . وينهض من عمله ليصلّي ويعود إلى الحياكة من جديد ، ومن ثم يعود فينهض للصلاة . هذا كان ملاك الرب الذي أُرسل لإصلاح أنطونيوس وحفظه . ثم سمع أنطونيوس المـلاك يقول : إعمل هكـذا فتخلص . ولمـا سمع هذا الكـلام ، امتلأ فرحاً وشجاعة ، ولما عمل هكذا خلص .

٢ ـ لما نظر الأب أنطونيوس في عمق أحكام الله ، سأل قائلاً : يا رب : كيف يموت البعض في سن مبكرة ، بينما يموت البعض الآخر في شيخوخة متناهية ؟ لماذا يفتقر البعض ويغتني البعض الآخر ؟ كيف يغتني الظالمـون ويفتقر الأبرار ؟ فجاءه صوت يقول : أنطونيوس ، انتبه أنت لنفسك ، لأن هذه أحكام الله ولا توافقك معرفتها .

٣ ـ سأل رجل القديس أنطونيـوس قائلاً : ماذا يجب عليّ أن أحفظ لكـي أرضي الله ؟ ولما أجاب الأب قال : احفظ ما أوصيك به . حيثما تذهب ليكـن الله نصب عينيك . ومهما فعلت ، لتكن لديك الشهادة من الأسفار المقدسـة . حيثما جلست ، لا تتحرك بسرعة . إحفظ هذه الثلاثة ، تخلص .

٤ ـ قال القديس أنطونيوس الكبير إلى القديس بيمن : هذا هو العمل العظيم أن يحمل الإنسان خطيئته ويضعها أمام الله منتظراً حتى نسمته الأخيرة [١] .

(١) بيمن هذا مختلف عن بيمن الذي يحتل القسم الأكبر من أقوال الآباء الشيوخ ، والمدة الزمنية بين الإثنين تكاد تناهز المئتي سنة .

٥ ـ هو نفسه قال : لا أحد يقدر أن يدخل ملكوت السموات بدون تجارب ، لأنه قال : إرفعْ التجارب فلا يخلص أحد .

٦ ـ سأل القديس بموا القديس أنطونيوس قائلاً : ماذا أعمل ؟ قال له الأب : لا تثق ببرك ولا تندم على أمر قد عبر . وأمسك بطنك ولسانك .

٧ ـ قال القديس أنطونيوس : رأيت كل فخاخ العدو ممدودةً على الأرض ، فقلت متنهداً : ترى من ينجو منها ؟ فسمعت للحال صوتاً يقول : التواضع .

٨ ـ قال أيضاً : ثمة أناس أفنوا أجسادهم بالنسك ، لكنهم ظلوا بعيدين عن الله كونهم لم يقتنوا فضيلة التمييز .

٩ ـ قال أيضاً : الموت والحياة يعتمدان على القريب . لأننا إذا ربحنا أخانا ، فإننا نربح الله ، وإذا ما أعثرنا أخانا ، نخطأ إلى المسيح .

١٠ ـ قال أيضاً : كما أن السمكة إذا بقيت مدة على اليابسة تموت ، هكذا الرهبان ؛ إذا ما تأخروا خارج قلاليهم ، أو مكثوا زماناً مع أهل العالم ، فإنهم يبددون قوة السكينة . ينبغي علينا إذن أن نسرع إلى قلالينا كما يسرع السمك إلى الماء ، لأننا ، إذا ما تأخرنا عنها ، ننسى السجن الداخلي .

١١ ـ وقال أيضاً : إن من يقيم في البرية ويمارس حياة السكينة ينعتق من حروب ثلاث : السمع ، والكلام ، والنظر ، وتبقى عليه حرب واحدة هي حرب الزنى .

١٢ ـ زار بعض الإخوة القديس أنطونيوس ليعلموه بالخيالات التي كانوا يرونها ، وليفهموا منه ما إذا كانت حقيقية أو شيطانية . وكان عندهم حمار قد مات في الطريق . هؤلاء لما وصلوا إلى الأب ، سبقهم وقال : كيف مات حماركم الصغير ؟ قالوا له : وكيف علمت بموته يا أبانا ؟ أجاب : الشياطين أظهرت لي ذلك . قالوا له : نحن لهذا أتينا إليك لنسألك ، لأننا نرى خيالات كثيراً ما

تصبح حقيقية . ترى هل نحن مخدوعون ؟ أجابهم القديس من مَثَل الحمار : أقول إن هذه الرؤى شيطانية .

١٣ ـ كان إنسان يصطاد في البرية وحوشاً مفترسة ، فرأى الأب أنطونيوس يمازح بلطافة بعض الإخوة ، فأعثر . أمّا الأب فأراد أن يؤكد له أنه ينبغي علينا أن نتنازل بين الفينة والأخرى أمام الأخوة ، فقال له : ضع سهماً في قوسك واشدده ، فشده . فقال له ثانية : شدّه أيضاً بقوة . ثم قال له ثالثة : شدّه أيضاً . فقال الصياد : إذا شددته فوق القياس ينكسر . قال له الأب : هكذا الحال تماماً في عمل الله ، إذا ما شددنا على الإخوة فوق القياس ينكسرون بسرعة . إذن ينبغي علينا أن نتنازل لهم بين الحين والآخر . فلما سمع الصياد هذا الكلام ، غادر منتفعاً منه جداً . والإخوة أيضاً مضوا إلى أماكنهم بعد أن تشددوا .

١٤ ـ سمع الأب أنطونيوس عن راهب شاب أنّه قد صنع آية في الطريق وهي التالية : عندما رأى هذا الراهب الشاب بعض الآباء يسيرون في الطريق متعبين ، أمر الحمير الوحشية أن تأتي إليه وتنقلهم إلى حيث يقيم أنطونيوس . فأذعنت له . ولما وصل هؤلاء إلى القديس أنطونيوس ، أخبروه بما جرى لهم ، فقال : يبدو لي أن هذا الراهب يشبه سفينة محملة بالخيرات ولا أعرف ما إذا كانت ستصل إلى المرفأ أم لا . وبعد مدة من الزمن ، بدأ القديس أنطونيوس يبكي فجأة وينتحب . فقال له تلاميذه : لماذا تبكي يا أبانا ؟ قال لهم : عمود كبير في الكنيسة قد سقط الآن (وكان يقصد الراهب الشاب) . لكن اذهبوا إليه وشاهدوا الحدث . ولما ذهب التلاميذ إلى حيث يقيم هذا الراهب الشاب ، وجدوه جالساً على حصيرته يبكي الخطيئة التي فعلها . هذا لما رأى تلاميذ أنطونيوس قال : قولوا للأب أن يتضرع إلى اللّه كيما يمنحني عشرة أيام فقط ، وأرجوّ أن أتبرر . وبعد خمسة أيام رقد .

١٥ ـ امتدح بعض الإخوة راهباً في حضرة الأب أنطونيوس . وحدث أن زار هذا الراهب القديس أنطونيوس ، فرغب الأب أن يجربه ليرى ما إذا كان يحتمل

الاهانة . ولما وجد أنه لم يحتمل ، قال له : أنت تشبه قرية تبدو جميلة ومزيّنة من الأمام ، لكن اللصوص يسلبونها من الخلف .

١٦ ـ قال أخ للأب أنطونيوس : يا أبت ، صلِّ لأجلي . قال له الأب : لا أنا أرحمك ، ولا الله ، إذا كنت أنت نفسك لا تسرع لتطلب هذا منه .

١٧ ـ زار بعض الآباء الأب أنطونيوس وكان معهم الأب يوسف . فأراد الأب أنطونيوس أن يجربهم ، فأخذ آية من الكتاب المقدس وبدأ يسألهم من صغيرهم الى كبيرهم عن معنى هذه الآية . وكان كل واحد يجيب على قدر طاقته . أمّا هو فكان يقول لكل واحد : لم تجده بعد . وفي النهاية قال للأب يوسف : برأيك أنت ما معنى هذه الآية يا يوسف ؟ أجاب يوسف : لا أعرف . فقال القديس أنطونيوس : في الحقيقة ، لقد وجد الأب يوسف الطريق لأنه قال : « لا أعرف » .

١٨ ـ زار بعض الإخوة من الاسقيط الأب أنطونيوس . هؤلاء لما ركبوا السفينة للذهاب إليه ، وجدوا على متنها أباً يريد أن يتوجه إلى المكان نفسه . أمّا الإخوة فلم يكونوا يعرفون الأب . وبينما كانوا في السفينة ، أخذوا يتحدثون بكلمات الآباء والكتاب المقدس وبعمل أيديهم أيضاً . أمّا هو فكان صامتاً . ولما وصلوا إلى الضفة الثانية ، وجدوا أن الأب هذا كان متوجهاً إلى الأب أنطونيوس . فلما أتوا إليه ، قال لهم : ما أجمل مصاحبتكم لهذا الأب ! ثم قال له : لقد وجدت بالفعل إخوة طيبين يا أبتي . أجاب الأب الضيف : حقاً انهم طيبون ، الا ان ساحتهم ليس لها باب ، حتى ان كل من يريد ، يدخل الاسطبل ويحل الحمار ويمضي به . هذا كان يقوله لأنهم كانوا يتكلمون بكل ما يأتي على فمهم .

١٩ ـ زار بعض الإخوة القديس أنطونيوس وقالوا له : قل لنا كلمة ، كيف نخلص ؟ قال لهم : هل سمعتم الكتاب المقدس ؟ انه يكفيكم . قالوا له : ولكن نريد أن نسمع منك أيضاً يا أبانا . أجابهم : يقول الكتاب : « من لطمك على خدك الأيمن ، حوِّل له الأيسر » . قالوا له : لا نقدر على فعل هذا

يا أبانا . قال لهم : إذا لم تقدروا أن تحوّلوا الخد الآخر ، ينبغي على الأقل أن تحتملوا اللطمة الأولى . قالوا له : ولا هذا نقدر عليه يا أبانا . قال لهم : إذا كنتم لا تقدرون على فعل هذا أيضاً ، لا تقابلوا اللطمة بأخرى . قالوا : ولا هذا نقدر عليه أيضاً . فقال لتلميذه : اعمل لهم طعاماً لأنهم مرضى ، ثم قال لهم : إذا كنتم على هذا لا تقدرون وذاك لا تريدون ، ماذا أعمل أنا لكم ؟ أنتم بحاجة إلى صلاة .

٢٠ ـ ترك أحد الاخوة العالم ووزّع ثروته على الفقراء محتفظاً بالقليل لنفسه . هذا زار القديس أنطونيوس . وبعد أن علم الأب بأمره ، قال له : إذا أردت أن تصير راهباً ، اذهب إلى القلاية الفلانية ، واشتر لحماً وضعه حول جسدك العاري وبعد ذلك تعال إليّ إلى ههنا . وعندما فعل كما أمره الأب ، هاجمته الكلاب والطيور الجارحة ومزقت جسده . وعندما عاد إلى الأب ، سأله إذا عمل بنصيحته . فأراه الأخ الجسد الممزق . فقال له القديس أنطونيوس : إن الذين مقتوا العالم وأرادوا أن يقتنوا المال ، هكذا تقطّعهم الشياطين التي تحاربهم .

٢١ ـ سقط أخ كان يعيش في دير الأب إيليا ، في تجربة . هذا لما طُرد من الشركة ، ذهب إلى الجبل إلى الأب أنطونيوس وأقام معه ردحاً من الزمن . ثم عاد أنطونيوس وأرسله من جديد إلى ديره الذي طُرد منه . فلما رآه أهل الدير ، للحال طردوه من جديد . فعاد الأخ إلى الأب أنطونيوس قائلاً : لم يرغبوا في قبولي يا أبتِ . فعاد القديس وأرسله إلى ديره من جديد قائلاً : سفينة محملة تكسرت في عرض البحر وفقدت حمولتها وبالجهد بلغت إلى الشاطىء . وأنتم الآن تريدون أن تغرقوا الأخ الذي نهض وقصد البر من جديد . فلما سمع أهل الدير أن أنطونيوس هو الذي أرسله ، قبلوه للحال .

٢٢ ـ قال القديس أنطونيوس : أعتقد أن للجسد حركة طبيعية فطرية فيه . إلا أن هذه الحركة لا تعمل بدون إرادة النفس . إنما تظهر في الجسد كحركة جامدة . كذلك ثمة حركة أخرى مصدرها التغذية والعناية بالجسد بالأكل والشرب

والتي منها حرارة الدم تنهض الجسد وتحركه . لأجل هذا كان الرسول يقول : « لا تسكروا بالخمر الذي يثير الفسق » (أفسس ٥ : ١٨) . كذلك قال الرب في الإنجيل مخاطباً تلاميذه : « احترزوا أن تصير قلوبكم مثقلة بالخمر والعهر » (لوقا ٢١ : ٣٤) . كذلك هناك حركة أخرى عند المجاهدين تثيرها الشياطين بالحيلة والحسد . لذا ينبغي أن نعرف أن الحركات الجسدية ثلاث : واحدة طبيعية ، وأخرى من كثرة المآكل ، وثالثة من الشياطين .

٢٣ ـ قال أيضاً : الله لا يترك الحروب تعمل في هذا الجيل كما كانت تعمل في الأجيال السالفة ، لأنه يعرف أن الناس الآن هم مرضى ولا يحتملون .

٢٤ ـ أُعلن للقديس أنطونيوس في البرية أن هناك في المدينة انساناً يشبهك ، طبيباً في العلم ، ويعيش مقدّماً ما يفضل عنه للفقراء والمحتاجين . وكل يوم ، يرتل التريصاجيون[1] مع الملائكة .

٢٥ ـ قال الأب أنطونيوس : سيأتي وقت يصير فيه البشر مجانين ، وعندما يرون انساناً عاقلاً ، سينهضون عليه قائلين : أنت مجنون . والسبب ، كونه يختلف عنهم .

٢٦ ـ زار بعض الإخوة الأب أنطونيوس وسألوه عن آية من سفر اللاويين . فخرج الأب أنطونيوس إلى البرية وتبعه الأب أمون خفية عارفاً عادته . ولما ابتعد أنطونيوس عن المكان كثيراً ، وقف للصلاة وصرخ بصوت عظيم : يا رب ، أرسل موسى يعلمني هذه الآية . فجاءه صوت كان يكلمه ، ثم قال الأب أمون : لقد سمعت الصوت يكلمه ، الا أني لم أدرك قوة الكلمة .

٢٧ ـ اعتاد ثلاثة من الآباء أن يذهبوا كل سنة إلى المغبوط أنطونيوس ، فكان اثنان منهم يسألانه عن الأفكار وخلاص النفس ، أمّا الثالث فكان يصمت ولا يقول شيئاً ، وبعد زمان طويل قال له الأب أنطونيوس : لك زمان تزورني دون أن تسألني شيئاً . أجاب ذلك الأب : يكفيني أن أراك يا أبتِ .

٢٨ ـ قالوا إن أحد الآباء طلب من الله أن يعاين الآباء القديسين . فرآهم دون أن

---

(١) التريصاجيون تعني ترنيمة « قدوس الله ، قدوس القوي ، قدوس الذي . . . » .

يرى الأب أنطونيوس . فقال للذي أراه إياهم : وأين الأب أنطونيوس ؟ قال ذاك : إنه في المكان الذي يقيم فيه الله .

٢٩ ـ اتُّهم أخ كان يعيش في الدير ، بالزنى . فقام وجاء إلى الأب أنطونيوس . كما جاء الإخوة من الدير ليصلحوه ويعودوا به إلى حيث كان . وبدأوا يقولون له : هكذا فعلت. أمّا هو فكان يجيب: إني لم أفعل شيئاً كهذا. وحدث أن كان هناك الأب بفنوتيوس الكِفَلاس[1] ، وقال هذا المثل : رأيت على ضفة النهر إنساناً غاطساً في الوحل حتى ركبتيه ، وحيثما أتى أناس ليمدوا له يد العون ، أغرقوه حتى رقبته . فقال لهم القديس أنطونيوس عن الأب بفنوتيوس : هذا هو الانسان الحقيقي القادر أن يشفي النفوس ويخلصها . فتأثّر الإخوة بكلام الناسكَيْن وسجدوا أمام الأخ تائبين . وبعد الصلاة عاد الجميع أدراجهم إلى الدير .

٣٠ ـ قال البعض عن الأب أنطونيوس انه صار حاملاً الروح القدس ، ولم يُرد أن يتكلم بسبب الناس ، لأنه كان يكشف ما يحدث في العالم ، وما سيحدث في المستقبل .

٣١ ـ تسلّم القديس أنطونيوس رسائل من الملك قسطنطين يدعوه فيها لزيارته في القسطنطينية . ففكر القديس فيما يجب أن يعمل . ثم سأل تلميذه القديس بولس قائلاً : هل يجب أن أذهب ؟ أجابه التلميذ : إذا ذهبت ، يقولون لك أنطونيوس ، أمّا إذا بقيت فيقولون الأب أنطونيوس .

٣٢ ـ قال القديس أنطونيوس : أنا لا أخاف الله أبداً إنما أحبه ، « لأن المحبة تطرد الخوف خارجاً » (١ يوحنا ٤ : ١٨) .

٣٣ ـ قال هو نفسه : ضع مخافة اللّه نصب عينيك دائماً . وتذكّر هذا الذي يُميت ويُحيي (١ مل ١١ : ٦) . امقتوا العالم وكل ما فيه . امقتوا كل راحة جسدية . ارفضوا هذه الحياة لتحبوا اللّه . تذكّروا وعدكم له . إذ أن هذا ما يطلبه منكم يوم الدينونة . جوعوا واعطشوا وتعرّوا واسهروا ونوحوا وابكوا

---

(١) KEFALAS

وتنهدوا من كل قلوبكم . اختبروا ما إذا كنتم أهلاً له . احتقروا الجسد كيما تخلّصوا نفوسكم .

٣٤ ـ زار ، ذات يوم ، الأب أنطونيوس الأب أمون في جبل النطرون ، ولما تقابلا قال الأب أمون : بصلواتك كثر عدد الإخوة . حتى أن البعض منهم يريدون أن ينصبوا قلالي بعيدة يعيشون فيها حياة السكينة . فكم هي المسافة بنظرك التي ينبغي أن تفصلهم عن قلالينا التي هنا ؟ قال الأب أنطونيوس : سنأكل في الثالثة بعد الظهر (الساعة التاسعة كنسياً) ، ثم نخرج ونطوف البرية ونفحص المكان . وهكذا طافا البرية حتى غروب الشمس ، عندئذ قال الأب أنطونيوس : لنصلِّ وننصب الصليب ههنا ليبني الإخوة قلاليهم . حتى إن الذين يقيمون هناك ، عندما يزورون الذين هنا ، يأكلون خبزهم في التاسعة ، والذين هنا عندما يزورون الذين هناك ، يعملون الشيء نفسه . وهكذا يظلون غير شاردي الذهن ابان الزيارات المتبادلة . وهكذا تكون المسافة اثني عشر ميلا .

٣٥ ـ قال القديس أنطونيوس : إن من يضرب كتلة الحديد ، يفكر أولا في نفسه ماذا ينوي أن يصنع منها . هل يريد منجلاً أو فأساً؟ هكذا ينبغي أن نفكر نحن أيضاً أية فضيلة ننشد ، لئلا نتعب عبثاً .

٣٦ ـ قال أيضاً : الطاعة مع الامساك تخضع الوحوش .

٣٧ ـ وقال أيضاً : أعرف رهباناً قد سقطوا بعد أتعاب كثيرة وتشوّش فكرهم ، لأنهم ألقوا رجاءهم على أعمالهم واحتقروا وصية القائل : «إسأل اباك فيقول لك » (تثنية ٣٢ : ٧) .

٣٨ ـ وقال أيضاً : إذا كان ممكناً ، فليكشف الراهب للآباء كل خطواته وكل قطرات الماء التي يشربها في قلايته ، لكي يتأكد من أنه لا يخطأ .

القديس أرسانيوس

١ ـ عندما كان الأب أرسانيوس في البلاط ، كان يصلي إلى الله قائلاً : يا رب ، عرّفني كيف أخلص . فجاءه صوت يقول : أرسانيوس أرسانيوس ، اهرب من الناس تخلص .

٢ ـ عندما انقطع أرسانيوس إلى حياة التوحد ، صلّى الكلام نفسه ، فسمع صوتاً يقول له : أرسانيوس ، اهرب واصمت واهدأ ، لأن هذه هي جذور عدم الخطيئة .

٣ ـ اقتربت الشياطين من صومعة الأب أرسانيوس ذات يوم لكي تحزنه ولما جاء الذين يخدمونه ووقفوا أمام باب قلايته ، سمعوه يصرخ إلى الله قائلاً : يا إلهي ، لا تتركني لوحدي لأني لم أعمل الصلاح أمامك . لكن بصلاحك ومحبتك أعطني أن أبدأ من جديد .

٤ ـ قالوا عنه إنه كما لم يلبس أحد في البلاط لباساً كلباسه ، هكذا في الكنيسة ، لم يلبس أحد لباساً أفقر من لباسه .

٥ ـ قال أحدهم للأب أرسانيوس : كيف أننا ، بالرغم من كل هذه التربية والحكمة ، لا نملك شيئاً صالحاً ، في حين أن المصريين القرويين قد اقتنوا فضائل كثيرة ؟ أجاب الأب القديس : نحن لا نملك شيئاً من تربية العالم ، أمّا هؤلاء المصريون فقد اقتنوا الفضائل بأتعابهم .

٦ ـ عندما كان الأب أرسانيوس يسأل شيخاً مصرياً عن أفكاره الخاصة ، قال له ، وآخر كان قد رآه : يا أبانا أرسانيوس ، كيف أنك وأنت تتقن العلم اليوناني والروماني تسأل هذا الفلاح المصري عن أفكارك ؟ أجاب الأب القديس :

إنني أتقن التربية اليونانية والرومانية ، لكني لم أتعلم الأبجدية البدويّة التي يعرفها هذا المصري .

٧ ـ زار ذات يوم رئيس الاساقفة المغبوط ثيوفيلس ، يرافقه أحد الحكام ، الأب أرسانيوس وطلب منه أن يُسمعه كلمة . فأجابه أرسانيوس ، بعد أن صمت قليلاً : حتى ولو قلت لكما كلمة ، هل تحفظانها ؟ فوافق الاثنان على حفظها . فقال الأب : حيثما تسمعان بأرسانيوس لا تقتربا .

٨ ـ ذات يوم ، أراد رئيس الأساقفة أن يزور أرسانيوس ، فأرسل يستعلم إذا كان يفتح قلايته ، فأوضح له الأب قائلاً له : إذا أتيتَ ، سأفتح لك ، وإذا فتحت لك ، سأفتح للجميع عندئذ لن أقيم حيث أنا . فلما سمع رئيس الأساقفة هذا الكلام ، قال : إذا كان ذهابي إليه سيرغمه على الهرب ، لن أذهب اليه أبداً .

٩ ـ سأل أخ الأب أرسانيوس ليسمع منه كلمة . فقال له الأب : جاهد بكل قوتك لكي يكون عملك الداخلي وفقاً لارادة الله ، فتغلب الأهواء الخارجية .

١٠ ـ قال أيضاً : إذا طلبنا الله ، يظهر لنا ، وإذا تمسكنا به ، يقيم فينا .

١١ ـ قال أحد الإخوة للأب أرسانيوس : إن أفكاري تزعجني قائلة : ظالما انك لا تقدر أن تصوم ولا أن تعمل ، على الأقل اذهب لزيارة المرضى ، لأن زيارتهم محبة .

أمّا الأب ، فلما عرف البذار الشيطانية ، قال له : اذهب ، كل ، إشرب ، ونم ، ولا تعمل ، فقط لا تبارح قلايتك . هذا الكلام قاله لأنه كان يعرف أن صبر القلاية يعيد الراهب إلى الصراط المستقيم .

١٢ ـ كان الأب أرسانيوس يقول : عندما يكون الراهب في بلد غريب ، لا يجوز له أن يتدخل في أي من الأمور ، وهكذا يجد راحة .

١٣ ـ قال الأب مرقس للأب أرسانيوس : لماذا تتحاشانا يا أبتِ ؟ أجابه الأب

قائلا : يعلم الله اني احبكم ، إلا أني لا أقدر أن أكون مع الله ومع الناس . فالقوات السماوية وآلاف الطغمات العلوية عندها إرادة واحدة ، أمّا البشر فإراداتهم كثيرة . لهذا لا أستطيع أن أترك الله وأكون مع الناس .

١٤ ـ كان الأب دانيال يقول عن الأب أرسانيوس إنه كان يسهر الليل كله وعندما كان يخلد إلى النوم عند الصباح ، بسبب الحاجة البشرية ، كان يقول في نومه : هلمَّ أيها العبد الشرير . فكان يأخذه النعاس قليلا ، ثم ينهض للحال .

١٥ ـ كان الأب أرسانيوس يقول : يكفي الراهب أن ينام ساعة واحدة فقط اذا كان مجاهداً .

١٦ ـ قال الآباء إن بعضاً من تين مجفف قُدّم إلى الاسقيط ذات يوم . فلم يرسل الإخوة منها إلى الأب أرسانيوس لئلا يهينوه . لكنه لما علم بما حدث ، لم يذهب إلى الإجتماع قائلاً : أنتم فصلتموني عنكم عندما لم تقدموا إليّ البركة التي أرسلها الله إلى الإخوة والتي لم أكن مستحقاً أن أقبلها . فسمع الجميع كلامه وانتفعوا من تواضعه . عندئذ نهض الكاهن وقدّم له من التين . وبعد ذلك مضى الإثنان إلى اجتماع الإخوة فرحين[1] .

١٧ ـ قال الأب دانيال عن أرسانيوس إنه عاش معنا سنوات كثيرة ، فجعلنا له سلة قمح واحدة في السنة . وعندما كنّا نزوره ، كنّا نأكل من هذه المؤونة نحن أيضاً .

١٨ ـ قال الأب دانيال عن الأب أرسانيوس إنه لم يكن يغيّر ماء الخوص إلاّ مرة واحدة في السنة ، إذ كان يضيف إليها فقط . وكان يحيك السلال حتى الظهر . فتوسّل إليه الآباء قائلين : لماذا لا تغيّر ماء الأغصان الذي قد أنتن ؟ قال لهم : بدل المسك والعطور التي تنشقتها في العالم ، ينبغي لي أن أتنشق هذه الرائحة .

١٩ ـ قيل عنه أيضاً إنه حينما سمع أن كل أجناس الثمار قد أينعت ، أخذ يقول في

---

(١) من الواضح أن التين كان عفِناً . هكذا يفسر إصرار أرسانيوس على الأخذ منه .

نفسه : أحضروا لي . فكان يذوق قليلا من كل نوع ، مرة واحدة فقط ، ويشكر الله .

٢٠ ـ مرض ذات يوم الأب أرسانيوس في الأسقيط ، وكان في عوز ، اذ لم يكن عنده ما يبتاع به حاجياته ، فأخذ من أحدهم حسنة وقال : أشكرك ربي ، لأنك أهلتني أن آخذ حسنة من أجل اسمك .

٢١ ـ قالوا عنه إن قلايته كانت على بعد اثنين وثلاثين ميلا . ولم يكن يخرج منها بسهولة ، لأن كثيرين كانوا يخدمونه . ولكن عندما هُجر الأسقيط ، خرج من القلاية يبكي ويقول : العالم خسر روما والرهبان خسروا الاسقيط[١] .

٢٢ ـ سأل الأب مرقس الأب أرسانيوس قائلا : هل يحسن ألاّ يجد الراهب في قلايته تعزية ؟ لأني رأيت عند بعض الإخوة خضاراً مقتلعة . أجابه الأب أرسانيوس : طبعاً يحسن هذا الأمر ، ولكن هذا يعتمد على ما اعتاده المرء . لأنه إذا لم يكن قوياً في حياة كهذه ، فإنه سيزرع من جديد أموراً أخرى .

٢٣ ـ أخبرنا الأب دانيال تلميذ الأب أرسانيوس قائلا : كنت قرب الأب إسكندر فألمّ به وجع شديد جعله يستلقي على ظهره وهو ينظر إلى العلاء . وحدث أن جاء المغبوط أرسانيوس ليكلمه ، فرآه مستلقياً . ولما كلمه قال : من كان هذا الدنيوي الذي رأيته هنا ؟ قال الأب إسكندر : وأين رأيته ؟ قال : لما كنت نازلاً من الجبل التفتّ إلى المغارة فرأيت إنساناً ممدوداً ينظر إلى العلاء . فسجد لي قائلاً : سامحني يا أبتِ ، أنا هو من رأيت ، إذ إن ألماً حاداً أمسكني ، فاستلقيت . فقال له الأب : إذن أنت كنت ذلك الإنسان ؟ حسناً إنني ظننت أن المستلقي هو إنسان دنيوي ، لهذا سألتك[٢] .

٢٤ ـ في أحد الأيام قال الأب أرسانيوس للأب إسكندر : عندما تنتهي من قطع الخوص ، تعال لتأكل معي . وإذا جاءني غرباء كلْ معهم . وكان الأب

---

(١) الأسقيط هُجر لمدة من الزمن بعد سنة ٤١٠ م وذلك عندما دُمرت روما على يد الفندال .

(٢) إن الوضع الجسدي هذا غير مقبول رهبانياً ، إلا أن أرسانيوس أبدى هذه الملاحظة بلطف وأدب .

إسكندر يعمل بانتظام واعتدال ، فلما حان وقت الطعام ولم يكن قد انتهى من الخوص بعد ، وبما أنه أراد أن يحفظ كلمة الأب أرسانيوس ، انتظر حتى ينتهي من عمله . وهنا لما رأى الأب أرسانيوس أن الأب اسكندر قد تأخر ، قام إلى طعامه ظاناً أنه قد انشغل ببعض الغرباء . أمّا ذاك فلما انتهى من عمله عند المساء ، قام وذهب إلى الأب أرسانيوس . فقال له الأب : ولماذا لم تأت ؟ قال الأب اسكندر: لأنك قلت لي أن آتي إليك حال انتهائي من الخوص ، فحفظت كلامك ولم آتِ إلاّ بعد الإنتهاء من عمل الخوص . وها قد أتيتك الآن بعد إتمام عملي . فتعجب أرسانيوس من دقته وقال له : حُلَّ صومك اليومي في وقت أبكر لكي تتلو صلاتك وتشرب ماءك وإلاّ فإن المرض سيدب إلى جسدك سريعاً .

٢٥ ـ زار الأب أرسانيوس في أحد الأيام مكاناً فيه قصب قد حركته الريح . فقال للإخوة الذين كانوا معه : ما هذا الإهتزاز ؟ قالوا له : إنه القصب . فقال لهم : في الحقيقة إذا أقام الإنسان في السكينة وسمع صوت عصفور لا يكون في قلبه الهدوء نفسه . فكم بالحري حالكم أنتم الذين عندكم اهتزاز القصب هذا .

٢٦ ـ قال الأب دانيال إن بعض الإخوة أرادوا الذهاب إلى الطيبة لشراء الكتان ، فقالوا : بالمناسبة ، دعونا نَرَ الأب أرسانيوس . فدخل الأب اسكندر إلى قلايته وقال له : هناك بعض الإخوة من الإسكندرية جاؤوا إلى هنا لرؤيتك . فقال الأب أرسانيوس : إسألهم عن سبب مجيئهم . ولما علم أنهم كانوا مجتازين إلى الطيبة لشراء الكتان ، قال للأب اسكندر : إنه لمن الطبيعي أن لا يروا وجه أرسانيوس ، لأنهم لم يأتوا من أجلي إنما من أجل أعمالهم . أرحْهم قليلا ، ثم أطلقهم بسلام قائلا لهم : إن الشيخ لا يستطيع أن يقابلكم .

٢٧ ـ ذهب أحد الإخوة الى قلاية الأب أرسانيوس في الأسقيط وتطلع من باب القلاية فرأى الشيخ كالنار . وكانَ مستحقاً أن يراه . ولما قرع الباب ، خرج

الأب أرسانيوس فرآه مندهشاً فقال له : هل لك زمان وأنت تقرع بابي ؟ هل رأيت شيئاً هنا ؟ فقال الأخ : لا . ولما كلّمه ، أطلقه بسلام .

٢٨ ـ وفي أحد الأيام ، بينما كان الأب أرسانيوس جالساً في كانوبوس[١] ، جاءته شابة من النبيلات غنية جداً وتخاف الله ، فاستقبلها رئيس الأساقفة ثيوفيلس . فرجته أن يقنع أرسانيوس بأن يستقبلها . فلما دخل على الأب أرسانيوس ، رجاه قائلا له : الشابة الفلانية جاءت من روما وتريد أن تراك ، أمّا هو فرفض أن يستقبلها . ولما أبلغوها هذا ، أمرت أن يحلّوا الخيل قائلة : أقسم بالله أني سأراه . فأنا لم آتِ لأرى إنساناً ، بل نبياً . ولما وصلت إلى جوار قلايته ، حدث بتدبير إلهي أن كان الأب أرسانيوس خارجاً . فلما لمحته ، أسرعت وانطرحت عند قدميه ، فأنهضها بغضب وتطلع إليها وقال : إذا أردت أن تعايني وجهي ، ها هو . أنظري إليه . أمّا هي فلفرط خجلها لم تنظر . فقال لها : ألم تسمعي بأعمالي ؟ هذه من الضروري أن يعرفها كل إنسان . كيف إذن تجاسرت وقطعت كل هذه المسافة ؟ ألا تعرفين أنك إمرأة لا يجوز لك الخروج إلى أي مكان ؟ أو ربما تريدين العودة إلى روما لتقولي للنساء إنك رأيت أرسانيوس فيصير البحر طريقاً للنسوة القادمات إلى ههنا ؟ قالت له : إذا كانت هذه إرادة الرب ، لن أدع أحداً يأتي إلى هنا . لكن أنت صلِّ من أجلي واذكرني في صلاتك . ولما أجابها قال : أُصلّي إلى الله أن يمحو ذكرك من قلبي . فلما سمعت الشابة هذا الكلام ، خرجت مضطربة . وما إن بلغت المدنية حتى حمّت لفرط حزنها . فعلم رئيس الأساقفة أنها مريضة ، فقصدها ورجاها أن يعرف ما بها . فقالت له : ليتني لم آتِ إلى ههنا ، لأني طلبت من الأب أرسانيوس أن يذكرني في صلاته ، فقال لي : أُصلّي إلى الله أن يمحو ذكرك من قلبي . وها أنا الآن أموت من شدة الحزن . فقال لها رئيس الأساقفة : ألا تعرفين أنك إمرأة وأن العدو يحارب القديسين بالنساء ؟ هذا هو السبب الذي جعل الأب أرسانيوس يقول لك هذا . إلاّ أنه من أجل نفسك يصلّي على الدوام . وهكذا شفي فكرها وعادت إلى وطنها فرحة .

(١) كانوبوس مدينة تقع في القسم الغربي من دلتا النيل وعلى بعد ٢٥ كلم . جنوب غرب الإسكندرية .

٢٩ ـ قال الأب دانيال عن الأب أرسانيوس : جاءه في أحد الأيام العرّاف يحمل له وصية أحد أقربائه النبلاء الذي كان قد ترك ثروة كبيرة . فأخذها أرسانيوس وهمّ بتمزيقها . فانطرح العرّاف عند قدميه قائلا : أرجوك لا تمزقها ، لأن تمزيقها يكلفني قطع رأسي . فقال له الأب أرسانيوس : أنا متّ قبله ، أمّا هو فقد مات منذ عهد قريب. وهكذا أعاد الوصية دون أن يأخذ منها شيئاً[1] .

٣٠ ـ قالوا عنه إنه في مجلس الأحد كان يرفع يديه نحو السماء مصلّياً تاركاً الشمس وراءه حتى تشرق من جديد . عندئذ كان يجلس .

٣١ ـ قالوا عن الأب أرسانيوس والأب ثيوذورس الفرمي إنهما كانا يمقتان مجد الناس أكثر من الجميع . فالأب أرسانيوس لم يكن يقابل أحداً بسهولة ، في حين أن الأب ثيوذورس كان يستقبل الناس ، لكنه كان كالسيف .

٣٢ ـ كان يقيم في المنطقة السفلية (جنوب مصر) ، وكان ينزعج من الزوّار هناك ، فقرّر أن يهجر قلايته . وبدون أن يأخذ منها شيئاً ، ذهب كما هو إلى تلميذيه إسكندر وزويلوس وقال للأول : إنهضْ وأبحرْ بالسفينة ، ففعل . ثم قال لزويلوس : تعال معي حتى النهر واطلب لي سفينة مبحرة إلى الإسكندرية ، ثم أبحرْ أنت نحو أخيك إسكندر . فاضطرب زويلوس من هذا الكلام ، لكنه ظل صامتاً . وهكذا انفصلوا بعضُهم عن بعض . فنزل الشيخ إلى الإسكندرية وهناك مرض مرضاً شديداً . فقال أبناؤه الروحيون فيما بينهم : ترى هل أحزن أحدنا الشيخ حتى انفصل عنّا ؟ ولم يجدوا في أنفسهم علّة لذلك . وعندما تماثل الأب للشفاء ، قال : سأذهب إلى آبائي . ولما أبحر إلى أعلى جاء إلى البترا حيث كان تلاميذه . ولما كان قرب النهر ، جاءته صبية حبشية ولمست ثوبه ،فانتهرها . فقالت له : إذا كنت راهباً ، إذهب إلى الجبل . فتأثر الشيخ لكلامها وقال في نفسه : يا أرسانيوس ، إذا كنت راهباً إذهب إلى الجبل . عندئذ قابله اسكندر وزويلوس اللذان ما أن انطرحا عند قدميه حتى

---

(١) العراف هو موظف يعمل في إدارة الخدمات في الامبراطورية .

رمى بنفسه هو أيضاً أمامهما . وبكوا جميعهم . فقال الأب : ألم تسمعا أني مرضت ؟ قالا له : نعم . قال : إذن لماذا لم تأتيا لزيارتي ؟ قال له الأب إسكندر : إن رحيلك عنّا لم يكن معقولاً وقد تأذينا قائلين : لو لم نكن قد تمردنا عليه ، لما انفصل عنّا . فقال لهما : سيقول الناس أيضاً إن الحمامة لم تجد مستقراً لرجليها فعادت إلى نوح في الفلك (تكوين ٨ : ٩) ، وهكذا شفيا . فأقام معهما حتى نهاية حياته .

٣٣ ـ قال الأب دانيال : حدثّنا القديس أرسانيوس عن إنسان (وربما كان يشير إلى نفسه) ، أن أحد الشيوخ بينما كان جالساً في قلايته ذات يوم ، جاءه صوت يقول : تعال لأريك أعمال الناس . فنهض وخرج . فقاده الصوت إلى مكان وأراه إنساناً حبشياً يقطع حطباً وقد أعدّ حمولة كبيرة . وكان يحاول أن يرفع الحمولة ، فلم يقدر . إلاّ أنه ، بدل أن ينقص منها ، كان يقطع حطباً من جديد ويضيفه إلى الحمولة . وهكذا كانت حاله لمدة طويلة . ولما تقدم قليلاً ، أراه إنساناً يقف أمام بئر يستقي منها وينقل الماء إلى حفرة مثقوبة كانت تنقل الماء إلى الحفرة الأولى . ثم قال له : تعال لأريك أمراً آخر . فرأى كاهناً ورجلين آخرين جالسين على صهوة أحصنتهم وهم يحملون خشبة بالعرض ، الواحد مقابل الآخر . فأرادوا الدخول من البوابة ، فلم يقدروا ، لأن الخشبة كانت بالعرض . ولم يتّضع الرجل الواقف خلف رفيقه لكي يُدخل الخشبة عبر البوابة بشكل مستقيم . وهكذا ظلوا خارج البوابة . فقال له الصوت : هؤلاء هم الناس الذين يحملون نير البرّ بكبرياء ، فلم يتضعوا ليصلحوا أنفسهم فيلجوا الطريق الضيق الذي للمسيح . لهذا ظلوا خارج ملكوت الله . والذي كان يقطع الحطب هو إنسان كثير الخطايا ، إلاّ أنه ، بدل أن يتوب ، كان يضيف إلى خطاياه ، خطايا أخرى . والذي كان يجر الماء من الحفرة هو إنسان يعمل أعمالاً صالحة ، إلاّ أنه فقد أعماله الصالحة ، لأنه كان يختلط بالشر . لذا ينبغي على كل إنسان أن يتيقظ في أعماله لئلا يتعب عبثاً .

٣٤ ـ هو نفسه حدّثنا ، ذات يوم ، أن بعض الآباء قدموا من الإسكندرية لكي يروا الأنبا أرسانيوس ، واحد منهم كان عم تيموثاوس رئيس أساقفة

الإسكندرية الملقب « بعديم القنية » ، وكان معه إبن أخيه . وكان الشيخ مريضاً ، ولم يرد أن يقابلهم لئلا يأتي آخرون ويزعجوه . في ذلك الوقت كان يقيم في البترا . فعادوا متضايقين . وحدث أن قام البرابرة بغزوة ، فأراد أن يقطن في المنطقة السفلية . فلما سمعوا به ، جاؤوا من جديد ليروه . فقبلهم بفرح . ثم قال له الأخ الذي كان معهم : ألا تعرف يا أبانا اننا جئنا لزيارتك لما كنت في البترا ، ولكنك لم تستقبلنا ؟ فقال له الشيخ : أنتم ذقتم خبزاً وشربتم ماءً ، أمّا أنا يا إبني فلم أذق لا خبزاً ولا ماءً ، كما ولم أجلس لأعاقب نفسي ، حتى تأكدت أنكم بلغتم إلى مكانكم . لأنكم من أجلي قد تعبتم . لكن سامحوني يا إخوتي . ولما تعزّوا رحلوا .

٣٥ ـ قال هو نفسه : دعاني الأنبا أرسانيوس ذات يوم وقال لي : أرح أباك ، حتى أنه ، عندما ينتقل إلى الرب ، يصلّي من أجلك لكي يأتيك الخير .

٣٦ ـ قالوا عن الأنبا أرسانيوس إنه ، لما مرض ذات يوم في الأسقيط ، ذهب الكاهن ونقله إلى الكنيسة ووضعه على فراش وأسند رأسه إلى وسادة صغيرة . ولما جاء أحد الشيوخ لزيارته ، ورآه في الفراش والوسادة تحت رأسه ، أُعثر قائلا : أهذا هو الأنبا أرسانيوس ؟ هل ينام في فراش كهذا ؟ أمّا الكاهن فانفرد به وقال له : ماذا كانت مهنتك في قريتك ؟ أجاب الزائر : كنت راعياً . قال له : وكيف كنت تمضي حياتك ؟ قال : كنت أعيش بتعب كثير . قال له الكاهن : والآن ، كيف تعيش في القلاية ؟ أجاب الزائر : أرتاح أكثر . فقال له الكاهن : هل ترى الأنبا أرسانيوس ؟ لقد كان أباً لملوك في العالم . وكان آلاف العبيد ، الذين يلبسون المناطق الذهبية والثياب الحريرية ، يحيطون به . وكان فراشه كثير الثمن . أمّا أنت فكنت راعياً ، ، ولم يكن عندك في حياتك الراحة التي عندك الآن . أمّا هذا فليس عنده الآن ، التنعم الذي كان عنده في العالم . هوذا أنت تستريح وهو يحزن . فلما سمع الضيف هذا الكلام تحرك في داخله شعور الإحترام وسجد أمامه قائلا : سامحني يا أبتِ ، لقد خطئت . في الحقيقة ، هذا هو الطريق الحقيقي ، لأن هذا بلغ إلى

التواضع ، أمّا أنا فإلى الراحة . وهكذا رحل الشيخ الضيف منتفعاً .

٣٧ ـ جاء أحد الآباء إلى الأب أرسانيوس ، ولما قرع الباب فتح له الشيخ ظاناً أنه تلميذه (أي خادمه[١]) . ولكن ، لما رأى أنه إنسان آخر ، خرّ على الأرض أمامه . فقال له القادم : إنهض يا أبتِ لأقبلك . قال له الشيخ : لن أنهض قبل رحيلك . فرجاه الزائر جداً أن ينهض ، فلم ينهض حتى رحل الزائر .

٣٨ ـ قالوا عن أخ قد جاء إلى الاسقيط ليرى الأب أرسانيوس . هذا دخل الكنيسة ورجا الإكليريكيين أن يساعدوه على رؤيته . فقالوا له : استرح قليلاً يا أخانا ، وبعد ذلك تراه . أمّا هو فقال : لن آكل شيئاً حتى أقابله . فأرسلوا أخاً يساعده لأن قلاية الأب أرسانيوس كانت بعيدة . ولما قرعا الباب ، دخلا ، وقبّلا الشيخ وجلسا صامتين . فقال الأخ : أنا ذاهب ، صلّيا لأجلي . أمّا الأخ الضيف ، فلما لم يجد شجاعة للحديث مع الشيخ ، قال لمرافقه : انتظرني سأذهب معك . وهكذا خرج الإثنان معاً . ثم رجاه قائلا : خذني إلى الأب موسى[٢] (الذي كان لصاً فيما مضى) . ولما بلغا إليه ، قبّلهما بفرح ، وبعد أن أضافهما وأحسن استقبالهما ، أطلقهما . فقال الأخ الدليل : ها قد رافقتك إلى الغريب وإلى المصري ، قل لي : أي الإثنين أعجبك ؟ أجابه قائلا : لقد أعجبني المصري . ولمّا سمع هذا الكلام واحدٌ من الآباء ، صلّى إلى الله قائلا : يا رب ، أظهر لي هذا الأمر . كيف يحدث أن يهرب الواحد من الناس من أجل اسمك ، أمّا الثاني ، فيحتضنهم أيضاً من أجل اسمك ؟ للحال ظهرت له سفينتان كبيرتان في عرض النهر . فرأى الأب أرسانيوس وروح الله يبحران على سفينة ، بينما على السفينة الثانية ، رأى الأب موسى وملائكة الله . وكانت الملائكة تطعمه أقراص العسل .

---

(١) الخادم يقوم بخدمة الناسك بسبب تقدمه في السن ، وليس بسبب رغبة الناسك في الراحة .
(٢) يظن انه موسى الحبشي المعروف .

٣٩ ـ قال الأب دانيال : عندما أشرف الأب أرسانيوس على الموت ، دعانا وقال لنا : لا تهتموا بفعل أعمال المحبة من أجلي ، لأني ، اذا كنت قد قمت بها لنفسي ، فهذا ما سوف أجد .

٤٠ ـ عندما أشرف الأب أرسانيوس على الموت ، اضطرب جميع تلاميذه ، فقال لهم : لم تأتِ ساعتي بعد . وعندما تأتي أخبركم . لكني سأحاكَم معكم أمام المنبر الرهيب إذا أعطيتم أحداً رفاتي . قالوا له : إذاً ، ماذا ينبغي أن نعمل طالما إننا لا نعرف كيف ندفن الموتى ؟ أجابهم : ألا تعرفون أن تضعوا حول قدمي حبلاً وترفعوني إلى الجبل ؟ هذا كان كلام الشيخ هنا : يا أرسانيوس ، لماذا تركت العالم ؟ مراراً كثيرة ندمت لأني تكلمت ، ولكن عن الصمت لم أندم . ولما قرب وقت رحيله ، رآه الإخوة يبكي ، فقالوا له : في الحقيقة ، هل تخاف أنت أيضاً يا أبانا ؟ أجابهم الشيخ : في الحقيقة ، إن الخوف الذي يلازمني الآن كان معي منذ أن صرت راهباً . وهكذا رقد .

٤١ ـ قيل عنه إنه ، طوال زمان حياته ، لما كان يجلس للعمل اليدوي ، كان يجعل في حضنه مئزرة يلتقط بها الدموع التي تنهمر من عينيه . ولما سمع الأب بيمن أنه رقد ، دمّع هو أيضاً وقال : هنيئاً لك أيها الأب أرسانيوس ، لأنك بكيت نفسك في الدهر الحاضر . لأن من لا يبكي نفسه هنا ، سيبكي هناك أبدياً . فالإنسان لا بد له أن يبكي ، إمّا هنا طوعياً ، أو هناك من العذابات .

٤٢ ـ حدّثنا الأب دانيال عن الأب أرسانيوس أنه لم يرد أبداً أن يتكلم على موضوع من الكتاب المقدس ، مع العلم انه كان يقدر إذا أراد . كذلك لم يكن يكتب رسالة بسهولة . ولما كان يأتي إلى الكنيسة من حين إلى آخر ، كان يجلس وراء العمود حتى لا يرى أحد وجهه ، ولكي لا ينتبه إليه أحد . كانت هيئته ملائكية كيعقوب ، كلّي البياض ، وجميلاً في الجسد . إلا أنه كان قاسياً وذا لحية طويلة تتدلّى حتى بطنه . وكانت خصلات شعره تتدلّى أيضاً من قبعته . كان طويل القامة وقد تحدّب ظهره من الشيخوخة . عاش خمسة

وتسعين عاماً قضى منها أربعين عاماً في بلاط السعيد الذكر ثيوذوسيوس الكبير كأب روحي لولديه أركاديوس وأونوريوس. ثم أمضى أربعين عاماً أُخَر في الاسقيط، وعشرة أعوام في ترويس شمال بابل ، مقابل منفس ، وثلاثة أعوام في كانوبوس الواقعة قرب الإسكندرية ثم عاد وقضى عامين في ترويس حيث رقد وقد أكمل سعيه بسلام الله ومخافته . كان رجلاً صالحاً ممتلئاً من الروح القدس والإيمان وقد ترك لي معطفه الجلدي وقميصه الأبيض وصندله المصنوع من قش النخيل . وأنا ، غير المستحق قد لبستها لكي أتبارك .

٤٣ ـ حدّثنا أيضاً الأب دانيال عن الأب أرسانيوس أنه ، ذات يوم ، دعا الأبوين إسكندر وزويلوس ، ووضع نفسه أمامهما وقال : بما أن الشياطين تحاربني ، ولا أدري إذا كانت تنال مني أثناء الليل (النوم) ، فاتعبا معي هذه الليلة واحفظاني ، إذا نعست ، بالسهر . فجلسا عند المساء صامتين ، الواحد عن يمينه والآخر عن يساره . وقد قال اسكندر وزويلوس إننا نمنا واستيقظنا ولم نشعر أنه قد نعس . وعند الصباح ،(والله وحده يعرف ما إذا كان قد فعل بنا هكذا عمداً ، لكي نقتنع أنه نعس ، أو أنه بالفعل قد خلد إلى النوم) ، نفخ ثلاث مرات وللحال نهض قائلا : لقد نعست ، أليس كذلك ؟ أمّا نحن فقلنا : لا نعرف .

٤٤ ـ جاء شيوخ إلى الأب أرسانيوس وطلبوا منه أن يقابلوه ، ففتح لهم الباب ، فرجوه أن يقول لهم كلمة عن الهدوئيين الذين لا يضيفون أحداً. فقال لهم: عندما تكون العذراء في بيت أبيها يكثر الذين يريدون أن يخطبوها ، ولكن ، عندما تزف إلى رجلها ، لا تعود تروق للكثيرين . البعض يزدري بها ، والبعض يمدحها . هكذا لا تجد التقدير ذاته الذي كانت تنعم به عندما كانت مستترة . هكذا هي أمور النفس ، من اللحظة التي تعلن فيها لا تقدر أن ترضي الجميع .